المركز القومي للترجمة





خاثنتو جراو

السيد بيجماليون

ترجمة ودراسة: زيدان عبد الحليم زيدان

1232



روائع الدراما العالمية

السيد بجماليون

المركز القومى للترجمة
إشراف : جابر عصفور

سلسلة روائع الدراما العالمية
المشرف على السلسلة : أحمد سخسوخ

- العدد : ١٢٣٢
- السيد بجماليون
- خاثنتو جراو
- زيدان عبدالحليم زيدان
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة مسرحية :

EL Señor de Pigmalión

Por: Jacinto Grau

حقوق الترجمة والنشر بالعربية محفوظة للمركز القومى للترجمة .
شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة . ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٥٤٥٢٦
فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤

El-Gabalaya St., Opera House, El-Gezira, Cairo
e.mail:egyptcouncil@yahoo.com Tel.: 27354524 - 27354526
Fax: 27354554

السيد بجماليون

تأليف : خاثنتو جراو

ترجمة ودراسة : زيدان عبد الحليم زيدان



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

جراو ، خاثنتو
السيد بجماليون .
تأليف: خاثنتو جراو ؛ ترجمة ودراسة: زيدان عبد الحليم زيدان.
– ط ١ – القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨
١٧٦ ص ، ٢٠ سم
١ – المسرحيات الإسبانية
أ – زيدان ، عبد الحليم زيدان (مترجم ، دارس)
ب – العنوان ٨٦٢

رقم الإيداع ٨٥٨٣ / ٢٠٠٨
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977-437-843-1
طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

تهدف إصدارات المركز القومى للترجمة إلى تقديم الاتجاهات والمذاهب الفكرية المختلفة للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المركز .

مقدمة المترجم

دراسة نقدية

خاثنتو جراو: سيرة حياة

ولد خاثنتو جراو [1] Jacinto Grau عام ١٨٧٧م بمدينة برشلونة الإسبانية من أب كاتالاني وأم أندلسية، وقد توفى والده، الذى كان يعمل طبيبًا بالجيش، عندما كان جراو طفلاً صغيراً، مما جعل أمه تتزوج رجلاً آخر كان زميلا لزوجها. ونظراً إلى طبيعة عمله فقد تنقلت الأسرة إلى مدن إسبانية كثيرة، وكذلك سافرت إلى بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا والسويد. أنهى دراسة المرحلة الثانوية فى مدينة فالنسيا **Valencia** التى قضى بها جزءًا كبيراً من حياته ودرس الحقوق بجامعتها. وفى عام ١٩٠٢ انتقل جراو إلى مدريد، حيث عاش بها حتى قبل نشوب الحرب الأهلية

---

(١) لمعرفة المزيد عن حياة خاثنتو جراو وأعماله، انظر مقدمتنا لترجمة مسرحيته "المخادع الذى لا يُخدع، أو دون جوان"، المنشورة فى العدد ٢٩١ من سلسلة المسرح العالمى، أبريل ١٩٩٧، الصادرة عن المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت.

الإسبانية عام ١٩٣٦، وفى هذه الفترة اتصل بعالم المسرح واستفاد كثيراً من خبرات القائمين على شئونه، واكتسب صداقات كثيرة وعداوات أكثر بسبب انتقاده اللاذع لمعاصريه ولجميع القائمين على شئونه. وفى عام ١٩٣٦ عُين جراو قنصلا لإسبانيا فى بنما من قبل حكومة الجمهوريين، وقضى هناك عدة أشهر، ثم انتقل بعدها إلى شيلى وبوليفيا، وأخيراً انتقل إلى العاصمة الأرجنتينية بوينوس أيريس التى عاش بها حتى وافته المنية فى نوفمبر عام ١٩٥٨م إثر أزمة صحية استمرت أكثر من أسبوع، ولم يقو جسمه النحيل على تحملها ومقاومة آثارها.

كان جراو شخصية صعبة ومدققة فى كل شيء حتى عند حضوره لقراءة بعض أعماله أو أعمال معاصريه، ولم يقبل قط الأعمال الأدبية الهابطة أو التى هى دون المستوى، كما يؤكد أغلب النقاد: "عندما كان يبحث البعض عن اسم لكى يعارضوا به الكاتب المسرحى خاثنتو بينابينتى Jacinto Benavente، ولكى يثبتوا أن نجاحه كان نتيجة لهبوط مستوى أعماله، فقد حالفهم التوفيق عند اختيارهم لاسم خاثنتو جراو لأنه – رغم احترامه وتقديره لبينابنتى – انتقد كثيراً من أعماله المسرحية التى لم تكن على المستوى المطلوب"(٢).

لقد كان جراو بالفعل يفكر بصوت عالٍ ويقول ما يحس به فقط، دون أن ينافق أحداً، وربما كان هذا هو السبب فى عدم عرض أغلب أعماله

---

(٢) Luciano García Lorenzo, Teatro selecto de Jacinto Grau, Madrid, Escelier, 1971, pág. 13.

على خشبة المسرح؛ لأنه لم يترك أحداً من المشتغلين بالمسرح إلا ووجه إليه نقداً لاذعًا ما دام فى محله، فهو يرى أن سبب تأخر المسرح فى إسبانيا فى بداية القرن العشرين يُعْزَى إلى أربعة عوامل: المنتج والممثل والمؤلف والناقد. يقول جراو عن المنتج: "كل ما يملكه هو المال، لكنه يجهل كل شىء، حتى المهنة التى يزاولها. هو ومساعدوه دائما من المهنيين غير المؤهلين ومن المبتدئين"(٣). والممثل بالنسبة إلى جراو خاضع وتابع لإرادة المنتج ورغبته، ويمثل فقط ما يريده، هذا مع أنه فى أحيان كثيرة يجسد دوراً عن عدم اقتناع تام به، وكذلك يختار الأدوار التى سيلمع فيها دون أن يضع بعين الحسبان الجودة؛ لأن ما يهمه - إضافة إلى النواحى المادية - غرور المهنة. وجدير بالذكر أن جراو لم يهاجم كل الممثلين، بل إنه فى مناسبات كثيرة أشاد بكل ممثل احترم مهنته وفنه ورفض القيام بأدوار تافهة لا تضيف شيئًا إلى رصيده وتاريخه الفنى.

أما النقاد فقد عرَّفهم جراو بأنهم "أجراء الفنون"، وليست لديهم القدرة ولا المعرفة الضرورية للإدلاء برأى قيم حول الأعمال التى ينتقدونها، وهذا هو السبب الذى جعلهم معاونين مباشرين للمنتج، وبهذا حافظوا على "التصنيف السوقى للمسرح". ويضيف قائلا بأنه "لا يجب تصديق رأى كُتب على عجل لكى يُنْشَرَ على صفحات الصحف والمجلات

---

(٣) Jacinto Grau, prólogo a El hijo pródigo y El señor de Pigmalión, Buenos Aires, Losada, 1956, pág. 8.

قبل صدورها بساعات، وهذا ما يحدث عادة مع النقاد، فتأتى أحكامهم بدون دراسة وافية، ويعتبرون القيمة الفنية شيئًا تافهًا لا يجب التوقف عنده طويلا"(٤).

ولم يختلف رأى جراو فى المؤلف كثيراً عن رأيه فى الناقد؛ فالمؤلفون "شرذمة كبيرة من أجراء الفنون، يهتمون كثيرا بشباك التذاكر وبكل ما يحبه العوام"(٥). وفى مناسبة أخرى يقول: "ليس هناك فى إسبانيا منذ فترة طويلة مسرح حقيقى... هناك فقط كتيبة من المؤلفين العسكريين تجر معها كتيبة أخرى من الممثلين والمنتجين، هدفها الوحيد تقديم تجارة بسيطة روتينية محدودة"(٦).

وعلى ضوء ما تقدم يمكن أن نطرح سؤالا مهمًا: هل طَبَّقَ جراو آراءه هذه عند كتابة أعماله؟ نعم، لقد كان صادقًا مع نفسه، ولم يكتب يومًا ما يتناسب مع قدرات أى ممثل ومزاجه، مهما كانت شهرته، أو على ذوق القارئ، ولم يقبل قط تغيير أى مشهد من مشاهد أعماله الدرامية لعدم وجود المسائل المناسبة لتمثيلها على خشبة المسرح، أو لمضاعفة أرباح المنتج، لكنه فضَّل أن يقدمها للقارئ وللمشاهد كما هى مكتوبة، وهذا ما يجعلنا نحترمه ونقدره.

---

(٤) Ídem, pág., 9.

(٥) Ídem., pág., 8.

(٦) Jacinto Grau, prólogo a El burlador que no se burla, Madrid, Mundo Latino, 1930, pág., 20.

مع أن كاتبنا قد درس الحقوق فإن اهتماماته كانت أدبية بحتة، فقد قرأ بشراهة وشغف لكثير من الكتاب الكلاسيكيين والمعاصرين، سواء من الإسبان، مثل: لوبى دى بيجا Lope de Vega، وميجيل دى ثرفانتس Miguel de Cervantes، وخوسيه إيتشجاراى José Echegaray، وميجيل دى أونامونو Miguel de Unamuno، أو من الأجانب، أمثال: شكسبير Shakespeare، وهيبيل Hebbel، وماترلانك Maeterlink، ودانونسيو D' Anuncio، وبرنارد شو Bernard Shaw، وإبسن Ibsen، ونيتشه Nietzshe، وشوبنهاور Shopenhauer، ولويجى بيرانديللو Luigi Pirandello. ولم يبدأ إنتاجه الأدبى بالكتابة للمسرح، بل نشر كتابه الأول عام ١٨٩٨م، الذى حمل عنوان "صور طبق الأصل" Trasuntos، عرض فيه بعض آرائه وأفكاره واهتماماته. وبدءًا من عام ١٩٠٢ بدأ ينشر أعماله المسرحية، حيث وصلت إلى نحو ٣٠ مسرحية، ولم يقتصر إنتاجه على المسرح فقط؛ بل كتب المقال والقصة القصيرة.

وسنتطرق الآن إلى أهم أعمال جراو المسرحية التى كُتبت كلها نثرًا، إلا مسرحية شعرية واحدة هى "حكاية باربا أثول" El cuento de Barba Azul عام ١٩١٥ . بدأ إنتاجه المسرحى – شأنه شأن كثير من الكتاب – بالمسرحية القصيرة، ففى عام ١٩٠٢ ظهرت إلى النور مسرحية "ساعات من الحياة" Horas de vida، وبعدها بعام واحد مسرحية "خلاص يهوذا" La redención de Judas، وهى مأخوذة من التوراة، وفى العام نفسه كتب مسرحية "عُرس كاماتشو" Las bodas de Camacho، وهى

مأخوذة أيضًا من رائعة الكاتب الإسبانى العظيم ميجيل دى ثرفانتس "دون كيخوتى"، وفى عام ١٩٠٥ نُشرت مسرحية "سِحْر" Sortilegio . وفى العام نفسه كتب أولى مسرحياته الطويلة "الضرر نفسه" El mismo daño، وبعدها بعامين كتب "بين اللهيب" Entre llamas، وتمثل هاتان المسرحيتان موضوع الحب المستحيل داخل إنتاجه المسرحى. وفى عام ١٩٠٧ كتب مسرحية "الكونت ألاركوس" El Conde Alarcos، التى أخذ موضوعها من قصيدة شعبية تحمل العنوان نفسه كتبها بيدرو دى ريانيو Pedro de Riaño فى أوائل القرن السادس عشر الميلادى، وكانت مصدرًا لعدة أعمال مسرحية وروائية ظهرت فى العصر الذهبى الإسبانى لجيين دى كاسترو Guillén de Castro، ولوبى دى بيجا Lope de Vega، وميرا دى أميسكوا Mira de Amescua، وخوان بيريث دى مونتالبان Juan Pérez de Montalbán، وكذلك فى كوبا لخوسيه خاثنتو ميلانيس José Jacinto Milanés، وفى ألمانيا لفريدريش شليجيل Friederich Schlegel، وفى إنجلترا لبنجامين ديزرايلى Benjamín Disraeli. وتجدر الإشارة إلى أن هذه هى المسرحية الوحيدة التى كُتبت فى القرن العشرين، وأنها لا تشبه الأعمال التى كتبت قبلها، بل إن جراو كان مخلصًا وأمينًا للقصيدة الشعبية المذكورة، حيث قدم الشخصيات نفسها، وأضاف شخصيات جديدة كان لها دور فاعل فى الأحداث الدرامية، وأهمها شخصية المُرضعة التى تعد المحرك الأساسى للأحداث الدرامية. ونشرت بين عامى ١٩٠٧ و١٩٠٨ مسرحية "الشيطان الثالث" El tercer demonio.

ويُعد عام ١٩١٣ من أكثر الأعوام التي نشر فيها جراو أعمالا مسرحية، حيث ظهرت "دون جوان دي كاريّانا" Don Juan de Carillana و"في إلداريا" En Ildaria، و"قصة غرام خرافية" Conseja galante، وفي عام ١٩١٧ نُشرت له مسرحيتا "الابن الضال" El hijo pródigo و"الملك كانداوليس" El rey Candaules. وفي عام ١٩٢١ كتب مسرحية "السيد بجماليون" El señor de Pigmalión، التي سنتكلم عنها بالتفصيل فيما بعد. وفي عام ١٩٢٥ كتب مسرحيتين هما: "الفارس بارونا" El caballero Varona و"مجانين العالم الثلاثة" Los tres locos del mundo . وفي عام ١٩٢٧ ظهرت واحدة من أهم مسرحياته، وهي "المخادع الذي لا يُخدع، أو دون جوان" El burlador que no se burla. وفي عام ١٩٢٣ كتب مسرحية "السيدة الجميلة" La señora guapa، وبعدها بعام واحد مسرحية "بيت الشيطان" La casa del diablo. وفي ١٩٤٥ نشر مسرحية "القدر" Destino. وبين عامي ١٩٤٦ و١٩٤٧ ظهرت مسرحية "تاباريِن" Tabarín، وفي ١٩٤٩ نشر "نظارة تيليسفوريو أو مجنون ذو طموح" Las gafas de don Telesforo o Un loco de buen capricho . وفي عام ١٩٥٤ مسرحية "بيبي كارابيه" Bibí Carabé. وفي عام ١٩٥٨، وقبل وفاته بأشهر قليلة، نُشِرت آخر مسرحياته "في السعير ينسلخون" En el infierno se están mudando.

مسرحية السيد بجماليون

يقدم لنا جراو فى هذه المسرحية موضوعًا مطروقًا مأخوذًا من أسطورة بجماليون الإغريقية المعروفة، وقد تناوله عدة كُتاب داخل إسبانيا وخارجها، أمثال ميجيل دى أونامونو، وبرنارد شو، ولويجى بيرنديلو، والأخوين كابك Kapek، وكاتبنا الكبير توفيق الحكيم، ألا وهو تمرد المخلوق على الخالق، فها هى الدُمى التى قام بتصنيعها بجماليون، وأعطاها شكلاً وحجمًا لا يختلف كثيراً عن شكل الإنسان وحجمه، تثور ضده وتعصى أوامره، وتدبر المؤامرات والدسائس ضده، وفى نهاية الأمر ترديه قتيلا. تريد هذه الدُمى أن تعيش الحياة بالنحو الذى خلقت عليه، دون سيطرة أو طغيان، دون قهر ولا خوف؛ لأنها بلغت درجة من كمال الإبداع الفنى تجعلها أكثر حقيقة، وإن كانت من صنع خيال بجماليون. يغرم بجماليون الأسطورة الإغريقية بتمثال جالاتيا الذى نحته ويتوسل إلى فينوس أن تهبه الحياة، أما بجماليون جراو فيقع فى حب بومبونينا، الدمية التى صنَعها، لكنه لا يطلب إلى أحد أن يحييها؛ لأنها بالفعل حية ونشيطة، وتصبح شخصية حقيقية عندما لا تكون معه. يحاول جاهداً أن تعيش مستسلمة له ومطيعة لأوامره، لكنه يخفق فى تحقيق ذلك؛ لأنها تمكنت من الهرب منه، بل لم ينته الأمر عند هذا الحد، حيث إن بقية الدُمى هربت منه، وثارت ضده وضد إرادته، وأردوه قتيلاً فى نهاية المسرحية.

اعتبر أغلب النقاد الإسبان أن مسرحية "السيد بجماليون" من أهم الأعمال الأدبية التى ظهرت فى فترة العشرينيات من القرن الماضى وأفضلها، وتمثل تحولاً مهمًا ومرحلة جديدة فى مشوار جراو الأدبى من حيث الشكل والمضمون والتكنيك، حيث استخدم تقنية جديدة تتمثل فى الضوضاء التى تصاحب الدُمى، كما ظهر فيها نبوغ جراو الذى برهن على أنه واثق من أدواته، وطرح الموضوع بحكمة واقتدار، وأضفى عليه طابعًا إسبانيا خالصًا، وحَدَّث الأسطورة وأعطاها طعمًا جديداً يختلف عن الأصل، حيث ترتعش الحياة والكراهية والغرور والهيام والخيانة والحرية.

نُشرت هذه المسرحية فى عام ١٩٢١، وحققت نجاحًا جماهيريًا منقطع النظير خارج إسبانيا، حيث عُرضت على مسرح مونتمارت Montmartre بباريس فى السادس عشر من أكتوبر عام ١٩٢٣ وأخرجها شارلز دولين Charles Dullin، وعلى مسرح براغ القومى Teatro Nacional de Praga فى الثالث من سبتمبر عام ١٩٢٥، حيث أخرجها الأخوان كابك Kapek، وتجدر الإشارة إلى أن هذه هى أول مسرحية لكاتب إسبانى تعرض على هذا المسرح الذى يُعد من أكبر مسارح أوروبا وأهمها، وأثنت الصحافة التشيكوسلافيكية على خاثنتو جراو، كما اعتبر النقاد هذه المسرحية من أهم الأعمال التى عُرضت على هذا المسرح وأفضلها، ثم عرضها الكاتب الإيطالى المعروف لويجى بيرنديلو Luigui Pirandello على "مسرح الفن" بروما عام ١٩٢٦ . وأخيراً تنبه المنتجون

الإسبان لأهمية المسرحية ونجاحها، وبالفعل، وفى الثامن عشر من مايو لعام ١٩٢٨، عُرِضَت على "المسرح الكوميدى" Teatro Cómico بمدريد، وكذلك على "مسرح برشلونة القومى" Teatro Nacional de Barcelona فى عام ١٩٧٤، وإن كانت المسرحية قد نجحت بشكل كبير فى الخارج، فقد حدث النجاح نفسه فى إسبانيا على مستوى الجمهور والنقاد.

تتكون هذه المسرحية من مقدمة وثلاثة فصول. تدور أحداث المقدمة فى مسرح "الدوكارا"، ويسخر جراو - كعادته - فى هذه المقدمة من القائمين على شئون المسرح: الممثل والمنتج والكاتب والناقد. يقدم لنا ممثلاً كوميديًا متكلفًا يعطى لنفسه أهمية لا يستحقها لمجرد أنه "ممثل موضة". يرى جراو أن الاهتمام الأكبر للمنتجين ينصب فى كيفية الحصول على المال، دون أن يضعوا بعين الحسبان الفن الذى يقدم على خشبة المسرح، حيث أصبح شغلهم الشاغل هو الاستفادة القصوى من بجماليون ومن شهرته العالمية، ويعترفون بأن الحظ قد حالفهم بتعاقدهم مع شخصية من هذا الطراز. والحوار التالى بالمشهد الثامن من المقدمة خير دليل على ذلك:

دون لوثيو: الديكور الفنى يوجد فى النقود.

دون خابيير: كل شىء يوجد فى النقود.

دون لوثيو: **(يحمل رزمة خطابات فى يده)** كل شىء! الصحة نفسها لا تساوى شيئًا بدون النقود.

وفى المقدمة نفسها يقدم لنا جراو منتجين غير مثقفين، فعندما يقول الكونت إن بجماليون مثل المغامر الإيطالى الشهير كاجليسترو Cagliostro (١٧٤٣-١٧٩٥) يعتقد أحدهم أنه مصمم عرائس أيضًا، بل يصابون بالفزع عندما يعرفون أن بجماليون فنان من طراز فريد؛ لأن الفنان - من وجهة نظرهم - "آفة التجارة"، وفى أول مرة يُقدم فيها للجمهور سيأتى الأدباء والرسامون والموسيقيون والرعاع الذين لا يملكون شيئًا. سيستولى كل هؤلاء على المسرح ويحيطون بالفنان ويبعدون الناس بأصواتهم. وبعد ثلاثة أيام لن يأتى أحد إلى المسرح، ولا هم أنفسهم، مع أن هذا لا يكلفهم شيئًا. سيكتفون بالتهليل فى المقاهى، يتكلمون عما رأوه، ويدفع المنتجون الثمن غاليًا، غاليًا جداً للفنان ولفنه. وفى المشهد التاسع من المقدمة، يرى الكونت أن المسرح يجب أن يكون فنًا وليس تجارة، ويجيب بذلك على المنتجين، وحقيقة الأمر أن جراو نفسه هو الذى يقوم بذلك نظراً إلى ما عاناه من إهمال وعدم تقدير لأعماله القيمة بين المنتجين، بقوله: "حضراتكم الوحيدون الذين تجهلون قيمة السلعة التى تتاجرون بها: الفن".

وعند وصول بجماليون يبدأ المنتجون فى تقدير حجم أرباحهم، لكنهم يصدمون عند معرفتهم أن بجماليون لا يعير اهتماماً للنواحى المادية؛ لأنها - من وجهة نظره - لا قيمة لها، ويمكن الحصول عليها بسهولة عن طريق بعض الدُمى، لكنه أكد لهم أنه أصبح مليونيراً عن طريق هذه الدُمى؛ لأنها تقوم بتمثيل مسرحيات كوميدية. وقد أثلج هذا صدور المنتجين؛ لأن " النقود توجد فى الكوميديا" كما قال أحدهم. وعندما يبدأ

بجماليون فى شرح عملية تصنيع الدمى، ينام المنتجون الثلاثة؛ لأن الشىء الوحيد الذى يستحوذ على اهتمامهم هو المال كما يقول الكونت: "إن كل ما يهمهم فى هذا العالم هو دفتر الحسابات والنقود وشباك التذاكر".

ويشير جراو إلى أن بيرموديث Bermúdez كاتب كبير لم تحقق أعماله نجاحًا كبيرًا؛ لأنه – فى رأى المنتجين – كاتب منحوس ويتسبب فى خسائر كبيرة للمنتج. وقد أدرج جراو هذه الشخصية فى الطبعة الثانية. ويرى النقاد أنها تمثل جراو نفسه، وتعكس خيبة أمله بوصفه كاتبًا مسرحيًا لم ير أغلب أعماله تعرض على خشبة المسرح، بل كانت للقراءة فقط، ولم تحقق النجاح الجماهيرى الذى كان يكافح دائمًا من أجله. كما أن هذه الشخصية تمثل دفاعًا ذاتيًا وتبريرًا لكاتب متأكد من أنه من القليلين الذين قدموا فنًا حقيقيًا للمسرح الإسبانى، وعلى الجانب الآخر، نرى الكونت – وهو محب ومشجع للفن الحقيقى – يمدح هذا الكاتب، ويرى أنه ثروة قومية حقيقية، ويُعد من الثروات القليلة بالدولة.

ويطرح جراو فى المقدمة أيضًا موضوعًا ينطبق عليه القول المعروف "لا كرامة لنبى فى وطنه"؛ فعندما علم المنتجون أن بجماليون من أصل إسبانى، أصيبوا بالضيق لأنه "سيهتم قليلاً بالجمهور"، وعليه لا يجب الإعلان عن هذه المعلومة حتى نهاية الموسم، فكان من الأفضل – من وجهة نظرهم – أن يكون فرنسيًا أو ألمانيًا أو سويديًا، أو من أية دولة أخرى؛ لأن هذه الأمور لها أهمية كبيرة جدًا فى عالم التجارة.

يقدم بجماليون فى الفصل الأول الدمى التى كان قد وصفها للدوق والمنتجين فى نهاية المقدمة، إنها تشبه الإنسان، بداخلها شرايين، وأعصاب وأحشاء وسائل يقوم بوظيفة الدم، مصنوعة من مواد خاصة نادرة جدا وغير معروفة حتى حين تصنيعها. تمثل الدُمى الصفات البشرية: الشر، والغدر، والخيانة، والرصانة، والجمال، والخيال، والطمع، والخبث، والمكر، والنميمة، والجبن، والتعقل، والدلال، والبساطة والتكلف. إنها نماذج شعبية إسبانية تحمل أسماء إسبانية، وتمثل كل ألوان الطيف البشرى. لم يصدق الدوق والمنتجون أنها دمى لأن تعبيراتها وكلامها لا يختلفان كثيراً عن البشر. يُعجب الدوق بجميلة الجميلات "بومبونينا" ويخطط للهرب معها.

لم يكف جراو عن إبراز جهل المنتجين، ففى هذا الفصل، وعندما يقارن الدوق بجماليون ببروميتيو، يضرب أحد المنتجين زميله بكوعه قائلا له: "لقد بدأ فى ذكر الأسماء التى لا نعرف عنها شيئًا".

ترفض بومبونينا فكرة أن خالقها هو بجماليون وليس الله سبحانه وتعالى الذى يتوجب عليها أن تشكره على الجمال الفتان الذى خُلقت به، لكن، هل جاء هذا الرفض من باب التمرد على بجماليون؟ أو لكى تثبت أن الله هو خالق بجماليون، وهو الذى منحه الذكاء اللازم لتصنيع دماه، ومن ثم فإن لله الخلق كله، ومنه هى بالطبع؟ تجدر الإشارة إلى أن جراو لم يبرهن قط على عدم اعتقاده فى وجود الله، بل على العكس؛ فقد طرح فكرة القضاء والقدر والموت على أنها حقيقة لا مفر منها فى كثير من

مسرحياته، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - "القدر"، و"دون خوان"، و"مجانين العالم الثلاثة".

وفى الفصل الثانى، نرى الدمى وهى تتحرك بحرية من وراء ظهر صانعها، ويصدر البعض الأوامر والنواهى للبعض الآخر. يصل الدوق كى يحرر بومبونينا من سجنها ويغريها بالقصور والمجوهرات والسيارات الفارهة، وبالفعل توافق على الهرب معه وتتم هذه العملية دون أن يشعر بها أحد من العمال المكلفين بحراسة الدُمى. تعلم الدمى بهروب بومبونينا، ولذلك تقرر وضع حد لعبودية بجماليون وبداية للحرية المفقودة عن طريق الهروب تحت قيادة القائد أرانيا وأورديمالاس. وبالفعل يلقى القائد خطبة عصماء عن الشجاعة والإقدام تمكن من خلالها من إقناع الدمى بالهرب، لكننا نراه هو أول من يتراجع عن التنفيذ؛ طمعًا فى نيل ثقة بجماليون وكرمه، وإثبات الولاء له، خاصة إذا ما فشلت الخطة.

نكتشف فى هذا الفصل الحياة الداخلية للدمى، حيث نجد الحب والبغض والتصارع وعقد الاتفاقات إذا ما اقتضت الضرورة، دمى مرهفة الحس، سيدة قرارها، مؤمنة بالمثالية البسيطة، محبة للحرية، متشوقة إلى المغامرة، غنية بالآفاق الجديدة. يمكن أن تترجم لنا المفهوم الإنسانى لحياة خالية من العواطف السيئة والانحطاط الحزين، تحيا حياة موجهة بشكل مستقيم نحو الحب والجمال، دمى تكره بدون عنف، تطمع بدون نبل، تخون بدون تعمد الأذى، وتقتل بدون ألم.

تدور أحـداث الفـصـل الثـالث في منزل عـامل طرق اضطر الدوق وبومبونينا إلى البقاء فيه نظراً إلى تعطل السيارة التي كانت تقلهما. تغضب الدمية من وجودها في هذا المكان المتواضع، وهي التي كانت قد وُعدت بالغالي والنفيس. يفشل الدوق في تهدئتها ويحاول مغازلتها، لكنها تتمكن من إغلاق باب الغرفة الموجود بها، ويثلج صدرها صراخه وتوسلاته. تصل خوليا - فتاة كانت عشيقة الدوق - وتكاد تقتلها الغيرة، ولهذا كانت مستعدة لقتل بومبونينا، مع أن الدوق هددها بالقتل إذا قامت بذلك، لكن وصول بعض الدُمى حال دون تنفيذ قرارها. تثأر الدُمى لبومبونينا عن طريق وضع منديل على عيني خوليا وفمها، ثم قاموا بفتح باب الغرفة وحبسوها مع الدوق. بعد ذلك يحدث انقسام في آراء الدُمى، فبعضها يفضل الخروج من هذا المنزل بأقصى سرعة ممكنة، في حين يرى بعضها الآخر البقاء للقضاء على بجماليون قبل أن يقضي عليهم، حيث إنه يجب تحقيق الحرية المطلقة عن طريق السيطرة على صانعهم. يوقف أورديمالاس الدُمى في طابور أمام الحائط، ويُخرج بندقية كان يخبئها في ملابسه ويحثهم ويحفزهم على التخلص من هذا الطاغية الذي يسلب إرادتهم، ويتحكم فيهم ليل نهار.

يصل بجماليون ويُخلص الدوق وخوليا من الحبس، وينصرفان بعد ذلك غاضبين من صنيع الدُمى معهما. تخاف الدُمى وترتعد أمام سوط بجماليون وتهديداته المستمرة، لكن أورديمالاس يتحداه ويمسك بالبندقية، وفي لحظة يطلق عليه الرصاص فيقع على الأرض. تحتفل الدُمى

بحصولها على الحرية المطلقة، وتقرر السير فى هذا العالم للقيام بمزيد من المغامرة والبحث عن الحظ. وبالفعل ينصرف الجميع إلا خوان الأبله الذى طلب منه بجماليون المساعدة، فإذا به يضربه بالبندقية على رأسه بدلا من تقديم يد العون فيرديه قتيلا. لقد أدى التمرد إلى تحقيق الحرية التى كانت الدُمى تنشدها، وربما تنشدها الشعوب المغلوبة على أمرها فى كثير من دول العالم.

شخصيات المسرحية

شخصيات المقدمة — Prólogo

- دونيا أورتنسيا	- Doña Hortensia
- تيريسيتا	- Teresita
- بجماليون	- Pigmalión
- دوق ألدوركارا	- El Duque de Aldurcara
- بونثانو	- Ponzano
- دون لوثيو	- Don Lucio
- دون خابيير	- Don Javier
- دون أوليجاريو	- Don Olegario
- بوّاب	- Un portero

دُمى المسرحية — Muñecos de la farsa

- بومبونينا الجميلة	- La bella Pomponina
- لوثيندا	- Lucinda
- كورينا	- Corina
- ماريلوندا	- Marilonda
- دونديلا	- Dondinela

(Muñecas al servicio de Pomponina)	(دمى يقمن بخدمة بومبونينا)
- Juan el tonto	– خوان الأبله
- Don Lindo	– دون ليندو
- Pedro Urdemalas	– بيدرو أورديمالاس
- El Capitán Araña	– الكابتن أرانيا
- El viejo Mingo Revulgo	– مينجو ريبولجو العجوز
- El tío Paco	– العم باكو
- Perogrullo	– بيروجرويو
- Bernardo el de la Espada	– برناردو حامل السيف
- Ambrosio el de la Carabina	– أمبروسيو حامل البندقية
- El enano de la Venta	– قزم دى لا بينتا
- Puerquito Entre Ellas	– بيريكيتو إنترى إياس
- Lucas Gómez	– لوكاس جوميث

* * * * *

- Julia	خوليا
- Pigmalión	بجماليون
- El Duque de Aldurcara	دوق ألدوركارا
- Don Lucio	دون لوثيو
- Don Javier	دون خابيير
- Un Conserje	فرّاش

مقدمة

(تدور الأحداث بمسرح ألدوركارا. مكتب الإدارة به باب واحد فقط فى العمق سهل الاستخدام ومبطن بجلد أحمر، وبأعلاه عين سحرية زجاجية مُنوَّرة. مكتب أمريكى مغلق. مائدتان صغيرتان وآلة كاتبة. أرائك ومقاعد جلدية. على الجدران لافتات وصور فنانين ولافتة كبيرة تعلن عن بجماليون ودماه يقرأ فيها ما يلى: "نجاح عالمى! معجزة آلية لم تُرَ من قبل. حدث فريد، مدهش جدا وهائل للأزمنة العصرية!". لافتتان كبيرتان جداً، على كل واحدة منهما صورة مختلفة لبجماليون وقطع قماش مستطيلة وعريضة، ومكتوب عليها اسم المصور بحروف كبيرة ملونة. الساعة الثانية بعد الظهر. لا يوجد أحد)

المشهد الأول

(بوّاب يرتدى قبعة مزينة بأشرطة، يفتح الباب ويرحب ببونتانو)

البـــــوّاب: تفضل حضرتك، تفضل.

بونتـــانو: **(ممثل كوميدى مشهور، متكلف وسعيد بنفسه. يدخل بعد البوّاب. يتكلم بلهجة آمرة)** لا تكلمنى ثانية عن بجماليون! لقد أصبت بتخمة من بجماليـون إلى درجة أننى أحلم به! هل تعلم ذلك؟

البـــوّاب: أعرف ذلك بالتأكيد يا سيدى، أعرفه.

بونتـــانو: أخْبِر دون أوليجاريو بوصولى.

البـــوّاب: لم يصل بعد. أما دون لوثيو ودون خابيير فقد حضرا.

بونتـــانو: فلتقل لأيهما إننى أريد أن أتحدث إليه حالاً، فى الحال، فاهم؟

البـــوّاب: سمعًا وطاعة يا سيدى، سأخبرهما فى الحال.

بونتـــانو: قل لهما إن بونثانو هنا... بونثانو، فاهم؟ بونثانو!

البـــوّاب: أجل يا سيدى، أجل. بونثانو.

بونتـــانو: إن بونثانو ينتظر هنا. هناك شىء عاجل.

البـــوّاب: أجل يا سيدى، سأخبرهما.

(يخرج ويغلق الباب. يضطجع بونثانو على أحد المقاعد، يخلع القبعة ويضعها بمزاج سيئ جدا على الأريكة القريبة منه فتحدث صوتًا. ينظر إلى ساعته، يضرب الأرض برجليه بغيظ ثم يخرج سيجارة ويشعلها. وقفة يتخللها صمت مطلق. يُخرج بونثانو دخانًا من فمه)

بونتـــانو: **(تعب من الصمت ومن بقائه وحده، ينهض ويمشى من ناحية إلى أخرى ويكلم نفسه)** سأنهرهما إذا كلمانى عن بجماليون، لو اعتقدا أنه بوصول هذا البجماليون لم نعد

نساوى شيئًا. **(يعود وينظر إلى ساعته)** لم يأتِ أحد! شىء سيئ بالنسبة إليهما! سأصاب بالصفراء! **(يذهب نحو الأريكة ويجلس عليها، وترتعد ساقه من الغضب)** يأخذان الموضوع بكل بهدوء ...! يا لتصرفات الناس! لا يعرفون كيف يكون المنتج! **(يستلقى على الأريكة ويمد القبعة ويفتح ساقيه)** أفظاظ دائمًا!

المشهد الثانى

(يُفتح الباب بسرعة وتدخل دونيا أورتنسيا ومعها تريسيتا. تأتى دونيا أورتنسيا غاضبة قليلاً ووقورة جدا، أما تريسيتا فتأتى مزينة جدا)

أورتنسيا: **(إلى بونثانو)** حضرتك هنا!

بونثانو: **(بلهجة واثقة، دون أن ينهض أو يعدل من وضعه المألوف)** هكذا يبدو. مرحبًا تريسيتا. كيف حالك؟

أورتنسيا: **(دون أن تعطى لتريسيتا فرصة للرد)** هناك من يريدون التحدث إلى هذه الفتاة **(تشير إلى ابنة أخيها)** لمعرفة ما إذا كانت تريد أن تجسد دورًا فى "اليد المعلقة"، وهى فى الحقيقة، وكما يبدو لى، ستمل من تمثيل هذا الدور بعد ليلتين. هذا علاوة على أنهم جاءوا ليتعاقدوا معها فى آخر لحظة. لقد أُخبرت بهذا صباح اليوم.

بونتشـــانو: **(من مقعده)** دائمًا ما يحدث الشيء نفسه. لو كنت أنا مكانك يا تريسيتا لرفضت.

تريسـيتـا: **(بسذاجة فتاة بريئة)** سأُنفذ ما تقوله عمتي.

بونتشـــانو: فليذهب المنتجون إلى الجحيم. فليجَسِّد الدور جدتهم أو بجماليون. لا تقبلي هذا الدور، حتى لو كان في مدريد.

أورتنسـيـا: ليلتان فقط لأن بجماليون سيبدأ عروضه يوم الخميس.

بونتشـــانو: يا له من كلام ممل! شهر كامل والجميع يتكلم عن ذلك الرجل. إنه أكذوبة في كل وقت. لن يكون سوى واحد ممن يتكلمون من بطونهم. لا شيء. لن يستمر أكثر من ثلاث ليالٍ، وهذا ما سيحدث. لا يعرفون كيف يكون المنتج.

أورتنسـيـا: ويا لها من دعاية! كما لو كان بجماليون هذا إلهًا!

تريسـيتـا: ناهيك عن المال الذي أنفق في الدعاية والإعلانات!

بونتشـــانو: لا أطيق صبرًا على بجماليون.

أورتنسـيـا: ربما يكون ذلك الرجل مخادعًا.

بونتشـــانو: **(ينظر إلى ساعته مرة أخرى)** بالتأكيد! إنه مخادع بالتأكيد! مع السلامة، فلن أنتظر أكثر من هذا. **(ينهض بسرعة ويأخذ القبعة ويلبسها إلى أن تصل إلى رقبته)**. أطلب منكما أن تخبراهما بأنني انتظرت أكثر من نصف ساعة، ولن أنتظر أكثر من هذا. لن أمثل هذه الليلة. لن يمنعني أحد من القيام بذلك، لا.

أورتنسـيـا: **(باهتمام شديد)** ماذا أَلَمَّ بك يا بونتشانو؟

بونشـــــانو: لا شيء. لن يستطيع أحد أن يجبرني على عمل أي شيء،.
هل تعرفان ذلك؟ حتى لو لم أكن أنا مثل بجماليون.

أورتنسـيـا: لكن، ماذا بك؟

بونشـــــانو: سيكون ذلك الدمية ممثلا كبيراً، تراجيدياً، لكنّ أحداً لن يأتي لرؤيته. أما معي فيحدث العكس تماماً، حيث يكتظ المسرح عندما أمثل مسرحية. هل تعرفين ذلك؟

أورتنسـيـا: لا شك في هذا، فبمجرد ذكر اسمك...

بونشـــــانو: (يهتاج تدريجياً دون أن يعير أورتنسيا اهتماماً) من الممكن أن يصبحوا ممثلين جيدين وعباقرة جداً ودراميين جداً، لكنهم سيطوفون الأقاليم سنوات وسنوات وسيحققون فشلاً ذريعاً، وعندما يأتون هنا فإن المأساة الحقيقية ستكون هي شباك التذاكر، أي إنهم لن يحققوا أي دخل يُذكر! وعندها سأكون سيئًا جداً وممثلاً فظًا نظراً إلى أنني أمثل في مدريد منذ سنوات طويلة، هل تعرفين ذلك؟ وها هي الصحف التي تشهد بذلك. لم أتكلم حتى الآن في موضوع إنهاء تعاملي مع الفرقة، مع أنه عُرض عليَّ خمسة عقود من فرق أخرى.

تريسـيـتـا: أجل، لقد قرأنا أمس في صحيفة "الإيرالدو"...

بونشـــــانو: في "الإيرالدو" وفي كل الأماكن التي تطلبني.

أورتنسـيـا: ما من شك في هذا!

بونشـــانو: عنـدما يسألانك عـنى أخبريهمـا بـأنى لن أمثـل الآن، ولن أذهب مع الفرقة إلى الأقاليم. فليأخذا ميراندا وحده.

أورتنسـيـا: سيغضبهما هذا التصرف.

بونشـــانو: فليـغضـبا. سأكون ممثلاً سيئًا، هل تعلمـين؟ وأنا الذى سأعطيهم النقود ولن يجبرنى أحد على عمل أى شىء، أتعلمين ذلك؟ ولن أسمح لأحد بأن يدوسنى، أتعرفين؟

أورتنسـيـا: حسنًا ما ستفعله.

بونشـــانو: بالطبع! فليختارا بينى وبين ميراندا! إذا أرادا شيئًا فهما يعرفـان مكانى جيداً. إذا كـان يجب على أحد أن ينتظر، فليكن هما أو أمهاتهما. لاسمى شهرته ومكانته. إلى اللقاء يا دونيا أورتنسيا! إلى اللقـاء يا تريسيتـا! وصـدقينى، لن أسمح بأى شىء! لن أسمح بأى شىء!

(ينصرف غاضبًا ويوصد الباب بشدة)

المشـهـد الثـالـث

(دونيا أورتنسيا وتريسيتا وحدهما)

أورتنسـيـا: يا لجسـارته! سأبلغ الرسـالة فى يـوم آخـر! أو فلتبلغـهـا أمهاتهما كما يقول هو!

تريسـيـتـا: إنه إنسان متكبر، وهذا شىء طبيعى لأن الجميع يصفق له كـثيراً، وتكتـب الصـحـف عنـه كل يوم. بونشـانو هنا،

بونثانو هناك. ماذا يفعل بونثانو، فيمَ يفكر بونثانو، ماذا يقول بونثانو؟

أورتنسيا: **(تهوى بالمنديل)** لقد أصبحت حالة المسرح مخجلة ومذرية... أوف! **(تجلس على المقعد)** دعينى أستريح يا بنيتى، فمع شدة البرد، تحمر وجنتى دائمًا بعد الغداء... وفى الصيف أختنق. سأصاب بالإغماء يومًا ما وستبقين بلا عمة.

تريسيتا: لأنك تأكلين كثيراً.

أورتنسيا: لا تقولى حماقات. أنا أحدد ما آكله. يجب الحفاظ على هذا الجسم.

تريسيتا: **(تسْرح وهى ترى اللافتات المعلقة على الجدران)** أجل يا عمتى، أجل.

أورتنسيا: **(تهوى مرة أخرى لعدة دقائق)** عندما يأتى المنتج أخبريه بأنك لن تستطيعى القيام بهذا الدور لأيام قليلة تحت أى ظرف.

تريسيتا: لكن، ألم تقولى لى إنها فرصة ثمينة ويجب أن أعض عليها بالنواجذ؟

أورتنسيا: أجل يا بنيتى، أجل. ما من شك فى هذا، لكن يجب أن ترفضى فى البداية لكى يقدروك أكثر وأكثر. ما زلت لا تعرفين الكثير عن هذه الأشياء. أنت فتاة صغيرة، ومن حسن حظك أننى بجانبك بخبرتى الطويلة.

تريسيتا: أجل يا عمتى، أجل.

أورتنســيــا: لقـد طلعت ضـروسى فى المسـرح وضـرس العـقل أيضـًـا عندمـا كنت أمـثل إحـدى المسـرحـيات، وبالتـحـديد آخـر مسرحية قمت بتمثيلها.

تريســيــتــا: لأنك اقتنعت بأنها ليست جيدة.

أورتنســيــا: يا للهـراء! فعـلى عــكس ما قيــل، كانت ممتــازة جداً. يا لك من حمقاء! ألا تعلمين أننى كنت ممثلة جيدة؟ هيا! أنا لم أعد أصلح!

تريســيــتــا: بما أنك قلت...

أورتنســيــا: كان من الممكن أن أمثل أكثر من أربع مسرحيات لو أننى واصلت. لا شىء! بدونى لن تكونى شـيئًـا، ضـعى ذلك فى الحسبان.

تريســيــتــا: **(تنظر بإمعان إلى صورة بجماليون)** أجل يا عمتى، أجل.

أورتنســيــا: بالطبع.

تريســيــتــا: يا لحســن هيئـــة بجماليون! أعتقـد أنـه يسـافر كـأمـير ويلقى النقود.

أورتنســيــا: سيتوقف كل ذلك، سيتوقف.

تريســيــتــا: ويبدو أنه رجل شاب وذو شأن عظيم.

أورتنســيــا: تسـقط الأجـراس مع أنهـا تكون مـوضـوعة جـيداً، لكنهـا تسقط. انظرى إلى تلك المرأة الشهيرة بيالوبوس، لقد قمت بدور أمـهـا، ساعدتها على التخلص من المعاناة، وعندمـا أصبحت مشهورة عاملتنى معاملة سيئة، وها هى الآن

عجوز وتعانى البؤس مرة أخرى. تسقط الأجراس
يا بنيتى حتى لو كانت موضوعة جيداً.

تريسيتا: أجل يا عمتى، أجل.

أورتنسيا: لست أدرى لماذا يبدو لى أن ذلك البجماليون سيصبح مثل
صالون حلاقة خوسيه ماريا، طشت كبير وصابون قليل،
أى سيكون عبارة عن جعجعة بلا طحن.

تريسيتا: لكن إذا كان مشهوراً عالميًا يا عمتى.

أورتنسيا: إن الشهرة هى التى تؤدى غالبًا إلى السقوط المدوى.

المشهد الرابع

(الشخصيات نفسها ودون أجوستين – ممثل الفرقة – يدفع الباب برقة، وعند رؤيتهما يخلع القبعة بلطف شديد. رجل مجامل جدا وكثير الحركة فى أثناء الكلام)

أجوستين: حضرتكما هنا! أرجو المعذرة! هل يعرف المنتجان
بوجودكما هنا؟

أورتنسيا: **(تنهض)** أجل، لقد أخبرناهما بوجودنا.

أجوستين: سامحانا! إنهما يتحدثان الآن إلى مترجم مسرحية "اليد
المعلقة"، السيد بيريث، الذى يبدو عليه الغضب. بوصول
بجماليون يعمل الجميع هنا بسرعة وباهتمام شديد.

أورتنسيا: آه، لكن هل وصل بجماليون؟

تريسيتا: (بفضول شديد) هل وصل بجماليون؟

أجوستين: أجل، لقد وصل صباح اليوم.

تريسيتا: وهل يشبه الصورة المرسومة على اللافتة بالفعل؟

أجوستين: لم أره. لقد استقبله الدوق في المحطة. يُقال إن له حضوراً كبيراً. لا يعمل هو الآن؛ بل دماه هي التي تمثل.

أورتنسيا: سنرى هذه الدُمى الشهيرة.

أجوستين: من لم ير هذه الدُمى فإنه لم ير شيئًا في حياته.

أورتنسيا: لقد جئنا، كما تعلم حضرتك.

أجوستين: آسف جدًا على الضيق الذى سببناه لكما بلا جدوى! ألف عذر باسم الفرقة.

أورتنسيا: لكن، ماذا حدث...؟

أجوستين: لا شيء، لقد تقرر في الساعات الأخيرة إلغاء عرضي الوداع اللذين كانت ستقوم بتمثيلهما الفرقة.

أورتنسيا: وهذا ما سنخرج به الآن...

أجوستين: كما ترين حضرتك. يريد بجماليون أن يقوم هو وحده بتشغيل دُماه على خشبة المسرح في الحفلات المسائية والليلية، ولم تكن الفرقة تعرف هذا حتى هذه اللحظة. إنها أوامر سامية. ستلتمسان لنا العذر، أليس كذلك؟

أورتنسيا: أقسم إنه لولا صالح ابنة أخي ما بقيت! إنها تحمل دمى نفسه! كان بمقدورها أن تمثل الدور في يومين. لا تشكوا في هذا؟

أجـوسـتـين: لا نشك فى هذا، والدليل على ذلك أننا استدعيناها، علاوة على أننى الذى رشحتها للشركة المنتجة لكى تتعاقد معها.

أورتنسـيـا: لقد أحسنت صنعًا! فهى مثلى بالضبط، عندما كنت أجسد دورًا كنت أتقنه تمامًا.

أجـوسـتـين: عجبًا يا دونيا أورتنسيا، فقد كنت تصابين بالتخمة كل يوم.

أورتنسـيـا: لا تكن فظًا. أنت تفهمنى تمامًا. لو أننى واصلت التمثيل فى المسرح، لأصبحت ممثلة عظيمة، وما زلت ممثلة عظيمة حتى الآن. آه لو كنت قد شاهدتنى وأنا أمثل! لقد كان لى حضور طاغ!

أجـوسـتـين: ولا يزال لديك هذا الحضور، يلاحظ ذلك جيداً...

أورتنسـيـا: نعم، هذا من فضل الله! أقول لتريسيتا دائمًا بما أنك شابة وجميلة جداً فيجب عليك أن تلحقى فى الطلب، وأن تتعلمى، لأنه بأقل القليل ستكونين أنيقة. فكما ترى يا سيد أجوستين، ذات يوم جعلتها ترتدى زيًا أسود وتضع شيئًا بسيطًا على رأسها، قبعة عادية جداً، فأصبحت من أجمل النساء. كان يجب عليك رؤيتها.

أجـوسـتـين: يجب أن نراها دائما لأنها جدُ جميلة. ستتعاقد معها الفرقة فى رحلتها إلى الأقاليم. هل ستأتين معنا يا تريسيتا؟

تريسـيـتـا: سأنفذ ما تقرره عمتى، ما تريده عمتى.

أورتنسـيـا: سنرى. ولماذا لا تذهب؟ قل لى، هل تفكر الفرقة أن تعرض هنا فقط مع بجماليون حتى الصيف؟

أجـوسـتـين: أطول وقت ممكن.

أورتنسـيـا: لكن إذا كان سينفد كل ما عند ذلك الرجل فى خلال أسبوعين.

أجـوسـتـين: لا يا سيدتى. يعرض بجماليون مع دمى كثيرة، كلها رائعة جدا، قامت بتمثيل أكثر من مائتى مسرحية حققت جميعها نجاحًا مدويًا وتجديدًا شاملاً. إنها أعجوبة! شىء لم نره هنا من قبل! سترين الوقت الذى ستستمر فيه عروضه.

أورتنسـيـا: هل تتكلم هذه الدُمى بالفعل؟

أجـوسـتـين: أفضل منك ومنى.

أورتنسـيـا: من المستحيل أن تكون أفضل من الممثلين.

أجـوسـتـين: سـيـدتى، لدينا هنا ممثلون...! لقـد أصـيـبت المهنة بالانحطاط! وكل ممثل وممثلة! مـثـلا، بيـريث الذى ترجم مسرحية "اليد المعلقة" يقبض آلاف البزيتات مع أنه يقول كلمات غير مفهومة، وهو الآن يملى شروطه على الفرقة. يقول إنه سيطالب بتعويض كبير إن لم تُعرض مسرحية "اليد المعلقة" هذه الأيام. يَدَّعى أنه رفض إعطاءها لكثير من المسارح لكى يعطيها لهذا المسرح، ويرى أن يهمل بجماليون وكل دمى العالم.

أورتنسـيـا: يجب أن تتكلمى مع ذلك الرجل فـوراً يا تريسـيـتـا كى يتعرف إليك ويراك ويعطيك دور البطلة فى المسرحية التى ستعرض فى الأقاليم لكى تدرسيه بعناية شديدة. بعد إذنك يا سيد أجوستين، واعذرنى إن كنت...

أجـوسـتـين: أنت التي يجب أن تعـذرينا لأننا جـعلناك تنتظرين هنا سدى. إلى اللقاء يا تريسيتا الجميلة...

تريسـيـتـا: مع السلامة يا سيد أجوستين.

أجـوسـتـين: احترسي جيداً من الحشرات...

أورتنسـيـا: **(مندفعة)** لن يكون هناك داع إلى ذلك! فأنا وحدي قادرة على إخافة هذه الحشرات. ستصاب بالفزع عندما تراني، ولن تعود.

أجـوسـتـين: يُلاحَظ أنك شخصية قوية.

أورتنسـيـا: هل أنا كذلك؟ أنت لا تعرف ذلك جيداً. فليسألوا عني زوجي الموجود في أمريكا. أنا يا سيد أجوستين لا أخاف من أحد مهما كانت قوته، وعندما أتعرض لموقف صعب تراني أكثر من الثور الهائج.

أجـوسـتـين: يُلاحَظ هذا يا سيدتي، يُلاحَظ.

أورتنسـيـا: **(تأخذ تريسيتا من ذراعها)** هيا بنا يا بنيتي، هيا بنا بسرعة قبل أن ينصرف ذلك الرجل... يجب أن يتعرف إليك بيريث، يجب أن يراك بيريث...

تريسـيـتـا: هيا يا عمتي، هيا.

أورتنسـيـا: **(تدفع تريسيتا نحو الباب)** هيا بسرعة. يجب أن نبدأ بالمبادرة لكي يراك ويعرفك. مع السلامة يا سيد أجوستين.

تريسـيـتـا: مع السلامة يا سيد أجوستين.

أجـوسـتـين: **(ينحني)** تحت أمركما، وأتمنى لكما قضاء أوقات سعيدة.

(تخرج تريسيتا أولاً ومن ورائها أورتنسيا التي توصد الباب)

المشهد الخامس

(أجوستين وحده، وبعد ذلك يظهر البوّاب)

أجوستين: يا لها من زوبعة! حذار من هذه المرأة! إنها امرأة قوية.
(يتجه نحو مائدة صغيرة ويجلس أمامها . يجهز بعض الأوراق لكي يكتب على الآلة الكاتبة. يدق جرس الباب) تفضل.

البوّاب: **(يفتح الباب قليلاً، يخلع القبعة ويُظهر لفة أوراق)** الصور والبرامج والإعلانات المكتوبة بخط اليد الخاصة ببجماليون.

أجوستين: ضعها هنا على المائدة.

البوّاب: **(يدخل وينفذ الأمر)** ينتظر المختص بلوحة الإعلانات في الخارج.

أجوستين: فلينتظر.

البوّاب: كما ترى يا سيدى.

أجوستين: هل وصل دون أوليجاريو؟

البوّاب: لم يصل بعد. هل تريد حضرتك أى شيء؟

أجوستين: لا أريد شيئًا.

(ينصرف البوّاب. يواصل أجوستين تجهيز الأوراق التى سيضعها فى الآلة الكاتبة. فترة صمت. يفتح الباب مرة أخرى ويدخل دون لوثيو ودون خابيير)

المشهد السادس

(أجوستين والمنتجان)

خابيير: أهلاً!

لوثيو: ماذا تفعل حضرتك؟

أجوستين: (ينهض) سأكتب الخطابات التى طلبتموها منى.

خابيير: اترك كل شىء وتوجه إلى كونتادوريا واتصل بالمختص بالإعلانات الضوئية. نريد أن يضع غداً أربع لوحات ضوئية متقطعة ومستمرة فى "بويرتا ديل صول"، وخمسًا فى "كواترو كايبس"، واثنتين فى شارع "مايور"، واثنتين فى شارع "كارتياس"، وأن يضع أيضًا هنا فى ميدان المسرح ثلاثة شرائط ضوئية فى الواجهة، وشريطاً آخر فى الجهة المقابلة.

أجوستين: لم نقم بعمل دعاية كبيرة كهذه. ستزداد التكاليف كثيراً.

خابيير: لا يهم! إن بجماليون كنز. لقد حقق نحو مليون فى بوسطون والمبلغ نفسه فى سان فرانثيسكو بكاليفورنيا...

أجوستين: تعرفان حضرتكما جيداً ما هى مدريد. ففى خمسين ليلة سيرى الجميع عروض بجماليون، ومع ارتفاع سعر التذكرة، لست أدرى إذا...

لوثيـــــو: إنه حدث عالمي وعلمي.

خــابيـيــر: شيء لم يُر هنا من قـبل. لقـد صنـع بجـمـاليـون الرجل المستعار. اتصل ونفذ ما طُلب من حضرتك.

أجـوسـتـين: تحت أمر حضرتك. لقد رأيت بونثانو و...

خــابيـيــر: نعم، نعم، لقـد علمنـا. لا شيء! إذا خُـيرنـا بين بونثـانو وميراندا، سنختار بونثانو. نفضل النوع الكوميدى الذى يعجب سكان الأقاليم.

لوثيـــــو: لقد تعدى بونثانو مرحلة كتابة النوع الكوميدى فقط.

أجـوسـتـين: لكنه يستغل اسمه.

لوثيـــــو: **(إلى خابيير)** أنت ترى كيف يسخر منا ميراندا فيما يكتبه للصحافة. له كثير من الأصدقاء، اسم كبير...

خــابيـيــر: لا يهمني كثيرا ما يكتب فى الصحف، ولا اسم ميراندا، بل النقود، النقود!

لوثيـــــو: هذا ما نسعى إليه.

خــابيـيــر: بالإضافة إلى أن اسمنا التجارى سيصبح فى القمة بعد إحضار بجماليون. **(يتجه إلى حيث يوجد أجوستين)** والسيد أوليجاريو؟

أجـوسـتـين: لم أره. شيء عجيب أنه لم يأتِ حتى الآن.

لوثيـــــــو: فى يوم كهذا! يتعامل معه بهدوء أيضًا. اتصل بشركة الدعاية واسأل عن آخر الأسعار وليأتِ ممثل الشركة.

أجوستين: أجل يا سيدى... لقد نسيت أن أقول لحضرتكما إن جوميث بينتانو ستترك الفرقة لأنها ليست مقتنعة بالمسرحيات التى ستعرض فى الأقاليم. تريد تقديم فن نقى.

لوثيـــــــو: فلتفعل ما يحلو لها يا رجل. نتمنى لها رحلة سعيدة!

خابيير: فلتترك الفرقة. إنها ممثلة جميلة، لكنها فى نهاية المطاف مأساوية. لن نخسر شيئًا مع من يريد ترك الفرقة.

لوثيـــــــو: شىء عجيب أيضًا أنها تريد أن تقدم فنًا ولديها طفلان وزوج يعمل بقالاً ومحل خياطة.

أجوستين: طبعًا، ولهذا ستقضى الوقت هنا فى عمل الكروشيه ورفو جوارب أولادها، وتواعد الغسّالة لكى تنظف ملابسها، ويأتى ابنها الأكبر لكى تراجع له الدروس.

خابيير: أقول لحضرتك إن...

لوثيـــــــو: (إلى أجوستين) اذهب حضرتك واتصل وكلمهم عن تخفيض التكلفة، وأن يأتى موظف من الشركة.

أجوستين: فى الحال.

(يخرج مسرعًا)

المشهد السابع

(دون لوثيو ودون خابيير)

لوثيــــــو: (يجلس أمام المكتب الأمريكى، يفتحه ويعيد وضع خطابات وأوراق) هناك أمل كبير.

خــابيــيــر: خاصة أن بجماليون اسم كبير تسبب فى ثراء كثير من الناس فى كل مكان.

لوثيــــــو: (ينظم ربطة أوراق) لقد حدث هذا فى الولايات المتحدة الأمريكية فقط وليس فى كل الأماكن.

خــابيــيــر: (يجلس على أريكة بعد أن قربها من المكتب) هناك حيث عرض يا سيدى. لقد بدأ هناك. صدقنى، ستأتينا من هناك دائماً أكبر الإنجازات.

لوثيــــــو: (يربط حزمة خطابات) يتقدم العلم اليوم بصورة مذهلة مثل من يغنون فى أعياد "لا فيربينا".

خــابيــيــر: يا لها من أيام جميلة قضيناها فى تلك الأعياد! لقد كانت تجرى مفاوضات تجارية فى المسرح فى ذلك الوقت.

لوثيــــــو: وتجرى الآن أيضاً، إذا لم يكن عكس ما نعرفه.

خــابيــيــر: وهكذا نستطيع شراء مسرح آخر العام القادم؛ لأن هذا المسرح لا يتفق وطموحنا. صحيح أنه جميل، وإيجاره زهيد، ويقع فى مكان مميز، من أفضل أماكن مدريد، لكنه لا يلبى طموحنا.

لوثيــــــو: لو لم يحالفنا الحظ بالتعاقد مع بجماليون، الذى يهتم بشدة بتقديم عروض فى كل مدن إسبانيا، لكنا قد خسرنا كثيراً فى هذا العام.

خــابيــيــر: وبقينا خائبى الآمال. نريد مسرحاً مستقلاً تماماً.

لوثيــــــو: بالطبع. مسرحاً لا يكون صاحبه مثل الدوق الذى يفرض علينا الأعمال التى يجب أن تُعرض عليه.

خــابيــيــر: مصيبة أيضاً أن يكون من بين النبلاء والأرستقراطيين الذين اعتدنا أن يكونوا في آخر الصفوف، أن نجد لدى هذا الدوق، صاحب المسرح، حساً فنياً مرهفاً، ويوجهنا إلى اختيار الأعمال الجيدة، ويكلمنا عن الفن الدرامى وأدق صغائره.

لوثيــــــو: فليقم هو بدور المنتج ولا يؤجر المسرح.

خــابيــيــر: على أية حال، يجب أن نتحمل الدوق الآن لأنه من الممكن أن يعطينا قرضاً كبيراً إذا احتجنا إليه.

لوثيـــــــو: وهذا هو سبب صبرى عليه. لست أدرى ماذا سيحدث عندما يعلم أننا اخترنا بونثانو ولم نختر ميراندا.

خـابيـيـر: وما دخله هو بهذا. يمكننا أن نفعل بفرقتنا ما يحلو لنا فى الأقاليم. هذا ما كان ينقصنا.

لوثيـــــــو: وهنا الشىء نفسه، ولذلك فإننا ندفع إليه إيجار المسرح.

خـابيـيـر: بالطبع يا رجل، بالطبع! هذه تجارة مثل أية تجارة أخرى.

لوثيـــــــو: الديكور الفنى يوجد فى النقود.

خـابيـيـر: كل شىء يوجد فى النقود.

لوثيـــــــو: **(يلوح برزمة خطابات موجودة فى يده)** كل شىء! الصحة نفسها لا تساوى شيئًا بدون نقود.

خـابيـيـر: وذلك الدوق المهتم كثيراً ببجماليون والمصمم على الذهاب لاستقباله لم يأتِ حتى الآن ليخبرنا بوصوله. ولم يأتِ أيضاً أوليجاريو.

لوثيـــــــو: لا يمكن تفسير ما فعله أوليجاريو. لم يكن عليه أن يذهب لاستقبال أحد ولا يقوم بما يفعله الدوق الآن. إنه يتذرع بهذه الأشياء بغرض التسلية.

خـابيـيـر: بالطبع، بدخل يصل إلى مائة ألف دورو ترى الأشياء بطريقة أخرى عما نراها نحن.

لوثيـــــــو: **(يترك مقعده)** سنذهب إلى فندق "بالاس" لرؤية بجماليون لو تأخر الدوق كثيراً.

المشهد الثامن

(الشخصيتان السابقتان أنفسهما، والدوق يدخل مسروراً بعد فتح باب المكتب بطريقة تدل على تسرعه. له حضور كبير، يضع وردة في عروة البدلة)

الـــــدوق: (يخلع قبعته. يقلده المنتجان) طاب مساؤكما.

لوثيـــــو: أخيراً وصلت يا سيادة الدوق، أخيراً.

خـابيـيـر: كنا على وشك الذهاب إلى الفندق لرؤية بجماليون.

الـــــدوق: آتي متحمساً، فمنذ وصول بجماليون صباح هذا اليوم حتى الآن لم أفارقه إلا عندما تركني وذهب لكي يتخلص من تراب السفر. يا له من رجل رائع! ستريان ذلك. إنه "كاجليسترو" جديد.

خـابيـيـر: كا... جديد، ماذا؟

الـــــدوق: كاجليسترو جديد.

خـابيـيـر: كاجليسترو؟ لم أسمع بهذا الاسم من قبل.

لوثيـــــو: وهل صنع ذلك الرجل دمى أيضاً؟

الـــــدوق: ليس عندكما فكرة عن أي شيء.

خـابيـيـر: ولا يهمنا أن نعرف، صدقني.

لوثيـــــو: كلمنا، كلمنا عن بجماليون، عن بجماليون هذا العصر؛ لأن هذا هو الذي يهمنا.

خـابيـيـر: متى نستطيع رؤيته؟

السوق: سيأتى فور رؤية تحميل الصناديق بنفسه فى المحطة وإخراج عربة الدُمى.

لوثيو: وماذا؟ إنه رجل ذكى، أليس كذلك؟

السوق: ذكى؟ إنه أعجوبة، ويا لها من مفاجأة سارة عندما علمت أنه إسبانى.

خابيير: إسبانى؟

لوثيو: شىء سيئ! سيهتم قليلاً بالجمهور. لا ينبغى أن نعلن عن ذلك.

خابيير: من الأفضل أن يكون فرنسيًا، ألمانيًا، سويديًا، أو من أية دولة أخرى.

السوق: يتحدث الإسبانية بلكنة إنجليزية ويتحدث الإنجليزية مثل الأمريكيين.

خابيير: حسنًا. لا يجب أن نعلن عن أنه إسبانى حتى نهاية الموسم.

لوثيو: أجل، أجل. فهذه الأمور لها أهميتها فى تجارتنا.

خابيير: لها أهمية كبيرة جداً. من الأفضل أن نقول إنه بلجيكى أو روسى.

السوق: بالنسبة إلىَّ فإنه من الأفضل أن يقال للناس إنه صينى. رحل من هنا صغيراً ليبحث عن رزقه، واستطاع وحده أن يحقق أكبر معجزة حدثت فى العالم. لقد استطاع أن يصنع الإنسان الآلى. تعيش دماه مثلنا. إنها أعجوبة، ستريان ذلك.

خـــابيـــيـــر: هذا شيء مهم.

الـــــــدوق: حمداً لله أن هناك أشياء تهم حضرتك غير النقود.

خـــابيـــيـــر: يهمنى هذا بالتحديد من وجهة نظر مادية.

لوثيـــــــو: بالطبع.

خـــابيـــيـــر: حضـرتك يا سيادة الدوق لا تعـرف شيئًا عـن الحياة لأنك غنى.

لوثيـــــــو: هل رأيت حضرتك أية دمية من دمى بجماليون؟

الـــــــدوق: لقـد رأيت فـقط صـوراً ومـشـاهـد فى كـثـيـر من أشـهـر الصـحف الأمريكيـة من الأعـمـال المسـرحيـة التى قـامـوا بتمـثيلها. لقـد تحـولـت السـاعات إلى دقـائق وأنا أستمع إلى بجماليون، وتركنى بالفعل مفتوناً. إنه فنان حقيقى، واحـد من القـلائل الموجودين فى العـالم. إنه فنان أصـيل. إنه فنان أعجوبة.

لوثيـــــــو: **(يمتد وجهه فجأة من شدة الرعب)** يا للخيبة!

خـــابيـــيـــر: **(بخيبة أمل واضـحة ومضـحكة، يذهب ويجلس على أحد المقاعد)** لقد سوَّد وجوهنا!

لوثيـــــــو: **(يذهب ويجلس على المقعد المجاور)** يا للحزن! سنفشل فى تحقيق ذلك الذى كنا قد وعدنا أنفسنا بالحصول عليه!

الـــــــدوق: **(يقف أمامهما)** لكن، هل حضرتكما مجنونان؟

لوثيـــــــو: لا يا سيدى، عاقلان جداً.

خـــابيـــيـــر: هل تعى حضرتك معنى كلمة فنان؟

المسوق: لكن يا رجل ..

خابيير: **(من مقعده، بنغمة حزينة جداً)** لقد عانيت منهم كثيراً لسوء الحظ. أعرفهم عن ظهر قلب من خلال خبرتي. يكون الفنان دائمًا مجنونًا أو معتوهًا، ويعتقد أن الناس كلهم مغفلون إلا هو. وإذا كانت لذلك الفنان شهرة عالمية مثل بجماليون فإنه يتحول إلى إنسان صعب المراس. وفي أول مرة يقدم فيها للجمهور سيأتي الأدباء والرسامون والموسيقيون والرعاع الذين لا يملكون شيئًا، والذين نعتبرهم تيفوس المسرح وعراقيله، سحابًا من الجراد للتجارة. سيستولي كل هؤلاء على المسرح ويحيطون بالفنان ويبعدون الناس بأصواتهم. وبعد ثلاثة أيام لن يأتي أحد إلى المسرح، ولا هم أنفسهم، مع أن هذا لا يكلفهم شيئًا. سيكتفون بالتهليل في المقاهي، يتكلمون عما رأوه، ونحن المنتجين ندفع الثمن غاليًا، غاليًا جداً، للفنان ولفنه.

لوثيو: **(يكاد يشنق نفسه بشعره)** غاليًا جداً! يكلفنا أحيانا غلق المسرح.

خابيير: هذا ما كان ينقصنا بعد الموسم الحالي بعرض مسرحية ميراندا وأعمال بيرموديث الدرامية.

المسوق: يُعد بيرموديث من الأمجاد الوطنية القليلة جداً في كل هذا الوطن.

لوثيـــــو: أجل يا سيدى، أجل. إنه مجد عظيم جداً، لكن لا يمكن بالمجد الوطنى تسديد فواتير تكاليف تمثيل أى عمل مسرحى.

خـابيـيـر: لا يقبلون أمجاداً عند دفع الفواتير.

لوثيـــــو: لقد كلفنا العجوز بيرموديث، بكل مجده، أكثر من مائة ألف بزيتا فى الجزء المنصرم من هذا الموسم.

الــــدوق: **(يذهب إلى الأريكة ويجلس)** يا لكما من رجلين رائعين!

المشهد التاسع

(الشخصيات السابقة نفسها ودون أوليجاريو، رجل عجوز وعادى، وجهه باسم وشخصيته جيدة. يظهر بعد ذلك البوّاب)

أوليـجـاريو: **(يدفع الباب ويخلع قبعته ببطء)** طاب مساؤكم أيها السادة. ليس هناك داعٍ أن ينهض أحد منكم.

خـابيـيـر: لقد جئت فى توقيت مناسب.

لوثيـــــو: لقد تعاملت مع الحدث بتأنٍ!

الــــدوق: لقد وصلت حضرتك فى الوقت المناسب.

أوليـجـاريو: هل وصل بجماليون؟

لوثيـــــو: نعم يا سيدى، وصل لسوء الحظ.

أوليـجـاريو: **(مذعوراً ومدهوشًا، ينظـر بإمعان فى وجهى شريكيه)**
كيف لسوء الحظ؟ ماذا حدث؟

لوثيـــو: **(ينهض حزينًا ويتجه ببطء تجاه أوليجاريو ويهمس فى أذنه)**
ما حدث... ما حدث أن بجماليون فنان.

أوليـجـاريو: **(بذعر مفاجئ)** والله!

خـابيـيـر: **(من مقعده، بنغمة جنونية)** هذا ما أكده لنا سيادة الدوق.

الـــدوق: **(من مقعده، بصوت واعد)** نعم يا سيدى، أؤكد أنه فنان!

لوثيـــو: لقد سمعت بأذنيك يا سيد أوليجاريو.
(يعود حزينًا إلى مقعده)

خـابيـيـر: **(يترك مقعده ويذهب حيث يجلس أوليجاريو وهو فى حالة يرثى لها)** أعلمت! وتأتى حضـرتك متـأخراً! وتأخذ هذه الأشياء بهدوء!
(يعود إلى مقعده وهو حزين جداً)

أوليـجـاريو: عجبًا! **(يقف فى منتصف خشبة المسرح. يبدو على وجهه الذل والترهل. يراقبه الدوق بسرور. يعم صمت تراجيدى يقطعه أوليجاريو ويقول بنغمة حزينة)** لست أدرى ماذا سيحدث عندما تعلم تشيتشيتا بذلك! كانت تنتظر تحقيق مكاسب طائلة من وراء بجماليون، وأن تقوم برحلة لمدة ستة أشهر تصرف خلالها ببذخ!

لوثيـــو: يمكنك أن تخبرها بما حدث لكى تصرف النظر عن الرحلة.

خـــابيـــيـــر: من سيسافر قريبًا هو بجماليون.

أوليــجـــاريو: ستهجرنى تشيتشيتا.

الــــــــــدوق: هكذا أفضل! تكمن المتعة فى التغيير يا سيد أوليجاريو.

لـوثـيــــــــو: فلتغيرها بأخرى.

الــــــــــدوق: هذا أفضل لأنك على علاقة بها منذ سنتين، وهذا يكفى. غيرها بأخرى.

أوليــجـــاريو: بالنسبة إلىّ فإنها غير قابلة للتغيير، وبما أنها تقوم بمفاوضات على غرار ما قمنا بها مع ميراندا، إذن لا يمكن تغييرها. وبالطبع فإن لبيرموديث دورًا لأننى ارتعد عندما نبدأ فى عرض أى عمل له وأقول: وداعًا يا نقودى!

لـوثـيــــــــو: إن بيرموديث نحس ويجلب النحس للموسم كله.

أوليــجـــاريو: جراد، جراد.

الــــــــــدوق: كل هــذا شىء رائع. حضــراتكم التجار الوحيدون الذين لا تعرفون جيدا القيمة الحقيقية للسلعة التى تتاجرون بها: الفن.

خـــابيـــيـــر: نستحلفك بالله ألا تكلمنا مرة أخرى عن الفن.

أوليــجـــاريو: تشيتشيتا هى صديقتى الوحيدة من الفنانات وتكلفنى علاقتى بها الكثير والكثير.

الــــــــــدوق: إنها أغلى فنانة من بين الفنانات الموجودات.

خـــابيـــيـــر: (مغتاظ جدًا) نكات لا، أستحلفكم بالله، وخاصة فى مناسبة كهذه.

أوليجاريو: كان من الممكن أن تغرق السفينة التى كانت تحمل بجماليون، فيغرق هو وكل الركاب وكل الدُمى المزعجة.

البواب: **(يفتح الباب)** السيد بجماليون.

الدوق: **(يقف)** فليدخل، فليدخل فى الحال.

أوليجاريو ولوثيو وخابيير: **(بصوت واحد)** بجماليون.

الدوق: فليدخل، فليدخل فى الحال.

البواب: حسنًا.

(ينصرف)

المشهد العاشر

(الشخصيات السابقة وبجماليون. رجل فى منتصف العمر، يبدو شابًا، لحيته محلوقة ووجهه رشيق جدًا. عيناه فاحصتان وحيتان. يرتدى بدلة غامقة، ويستخدم نظارة كبيرة لعين واحدة إطارها صدفى)

بجماليون: **(يدخل محييًا ويخلع النظارة. يتقدم عدة خطوات. يبدى مهارة كبيرة فى الحركات. يتكلم الإسبانية لكن بنغمة غريبة قليلاً)** طاب مساؤكم أيها السادة.

الدوق: **(يذهب إليه بحماسة شديدة)** بجماليون الرائع! أدين لحضرتك بساعات لا تنسى!

بجماليون: سيادتك إنسان لطيف جدًا، لطيف جدًا.

الـــــدوق: أقدم إلى حضرتك السادة المنتجين. لم يذهبوا لاستقبال حضرتك بسببي. كنت أريد أن أكون أول من يشرُف برؤية حضرتك.

بجـمـاليـون: **(ينحنى أمام المنتجين الثلاثة)** تسرنى معرفتكم يا سادة.

الـــــدوق: **(يقدمهم إليه)** دون أوليجاريو أندرادى، ودون لوثيو إيبانييث، ودون خابيير تالابيرا.

خـابيـيـر: **(يذهب تجاه بجماليون ويمد إليه يده)** كيف حال حضرتك؟

بجـمـاليـون: **(يمد يده)** على ما يرام، شكراً جزيلاً.

لـوثـيـــو: **(يقترب أيضًا من بجماليون ويده ممدودة وبلطف وبشاشة معتادة كثيراً مثل التى يقوم بها أغلب الناس)** وكيف حال العائلة؟

بجـمـاليـون: ليست لى عائلة إلا دُماى.

أوليـجـاريو: **(يمد إليه يده أيضًا)** يسعدنى كثيراً معرفة حضرتك.

بجـمـاليـون: وأنا كذلك يا سيدى.

الـــــدوق: ها هم أمام حضرتك يا سيد بجماليون. إنهم فى غاية الحزن منذ أن قلت لهم إن حضرتك فنان.

بجـمـاليـون: **(بمزاح خفيف فى نبرة صوته)** شيء طبيعى. قد يرجع ذلك إلى أن الفنانين الحقيقيين يمكن عدُّهم على الأصابع...

لـوثـيـــو: هذا من فضل الله، واعذرنا على صراحتنا.

خـابيـيـر: التجارة هى التجارة.

أوليـجـاريو: بالفعل! لو كان هناك كثير من الفنانين لكان هناك أيضاً قليل من المنتجين.

لوثيـــــو: **(بتعجل)** فلنتكلم فيما هو أهم. متى نستطيع رؤية الدُمى؟

خـابيـيـر: ما العائد المادى الذى يمكن أن تحققه دُمى حضرتك فى مسرح كهذا؟

أوليـجـاريو: **(يأخذ الكلمة من لسان شريكه)** كم عرضاً ناجحاً قدمت فى المسارح الأخرى؟

الـــدوق: إنكم تصعقوننا بهذه الكلمات. اهدءوا، اهدءوا.

بجـمـاليـون: لا أهتم كثيراً بالمال الذى يمكن أن أكسبه من وراء الدُمى يا سادة.

خـابيـيـر: **(يبلع ريقه)** هل تقول حضرتك إنك لا تهتم ؟

بجـمـاليـون: لا يهمنى أبداً.

(وقفة قصيرة. يبدو الغم على وجوه المنتجين الثلاثة وينظر كل واحد منهم إلى الآخر بحزن وجزع)

لوثيـــــو: **(يكلم خابيير بصوت خفيض كمن يتألم من مغص فى أحشائه)** لقد كان الدوق على حق! إنه حقاً فنان!

خـابيـيـر: **(يكلم لوثيو بالنغمة نفسها)** حقاً! إن الفنان الحقيقى هو الوحيد الذى يقوى على أن يقول كلاماً مثل كلام بجماليون.

أوليـجـاريو: **(بسرعة وبعيداً عن شريكيه)** لقد غشونا!

بجماليون: (ينظر إلى الدوق بخبث من يدرك تمامًا ما يحدث)
لقد قلت للدوق إن ما يهمنى من الدُمى هو أنفسهم، حياتهم التى ليس هناك حتى الآن مثلها بين الدُمى الأخرى وأهم بكثير من حياة كثير من البشر. ستقتنعون بهذا يا سادة.

لوثيو: إن لم تكسب المال، فلن تستطيع أن تسافر أو تعتنى بالدُمى وتنفق فى الدعاية لها، أو تعيش حياة الأمراء التى تحياها.

أوليجاريو: بدون المال لا يمكن أن يكون لدى حضرتك دُمى.

الدوق: ولن يكون لديك تشيتشينا يا أوليجاريو.

بجماليون: يمكن أن أؤكد لحضراتكم أننى عندما صنعت أول دُمية منذ عدة سنوات بمساعدة عامل فنى بسيط، كنت أمر بحالة مادية صعبة جداً، ومنذ تلك اللحظة حتى الآن وأنا أكسب مبالغ كبيرة من المال دون أن أدرى. لا أولى اهتمامًا كبيرًا للمال ولا للثروة، نعم، لأن المال، صدقونى، هو من أتفه الأشياء الموجودة فى العالم.

خابيير: (يكلم لوثيو بصوت منخفض، ينظر إليه كالثور عندما يُذبح)
إنه مجنون!

لوثيو: مجنون جداً! إنه بلا شك فنان كبير (إلى بجماليون)
باختصار شديد يا سيدى، متى سيتم الافتتاح؟

بجماليون: بعد غد.

أوليـجـاريو: ومتى نستطيع نحن رؤية الدُمى وهى تُمثل؟
بجـمـاليـون: مساء الغد.
أوليـجـاريو: عظيم.
السـوق: فلنجلس إذن بدلاً من أن نظل واقفين.
(يعود إلى مقعده)
لوثيـو: آسف يا سيد بجماليون إن كنا قلنا لحضرتك...
خـابيـيـر: فهذا هو الاهتمام الطبيعى للتجارة.
بجـمـاليـون: أفضل أن أظل واقفًا، إذا سمحتم لى.
لوثيـو: كما يروق لحضرتك، حضرتك فى منزلك. فلنجلس نحن.
(يذهب ليجلس أمام المكتب، فى حين يجلس خـابيـيـر وأوليجاريو على المقعدين اللذين كانا يجلسان عليهما من قبل)
خـابيـيـر: أى أن العروض ستبدأ بعد غد بالتأكيد...
بجـمـاليـون: أو الآخر...
لوثيـو: وما هذا الآخر؟ نريد أن نعرف الموعد المحدد بالضبط.
بجـمـاليـون: لا تهتموا حضراتكم كثيرًا بهذا الموضوع ولا بالتجارة.
لوثيـو: **(ينهض ثائرًا)** كيف لا نهتم...؟
خـابيـيـر: **(يقف أيضًا)** ومن سيهتم بهذا إن لم نهتم به نحن؟
أوليـجـاريو: **(يقلدهما)** هذه موضوعات جادة يا سيد بجماليون.
السـوق: **(يضطجع أكثر على المقعد)** حسنًا فعلت حضرتك عندما قلت لهم هذا.

بجماليون: اهدءوا واجلسوا. أعدكم من الآن بأن أصبح المسئول الوحيد عن كل الوقائع، وأن أؤجر المسرح من الباطن إذا أردتم حضراتكم ذلك.

لوثيو: (**مشرقًا، يجلس على المقعد**) رأيت حضرتك؟ هذا شيء مهم جداً. هكذا يجب أن يتم عقد الصفقات على أرض صلبة.

خابيير: (**يذهب ليجلس، سعيدًا أيضًا**) بهذه الطريقة يمكن حضرتك أن تبدأ العروض عندما تريد.

أوليجاريو: (**يجلس وهو سعيد جداً**) يجب التفكير قليلاً فى أى قرار قبل اتخاذه.

السوق: إذا أجرت المسرح من هؤلاء السادة، أريد أن أكون شريكًا مع حضرتك.

بجماليون: كما تحب. لا تهمنى كثيراً المنفعة المادية. المال شيء أحمق جداً إلى درجة أنه يمكن الحصول عليه بسهولة عن طريق الدُمى. هناك كثير من الرجال، أقل ذكاء من دُماى، حققوا ثروات طائلة! إن ما يعطى بسهولة شديدة للأغبياء وللدُمى لا يمكن أن تكون له قيمة كبيرة.

لوثيو: هل حققت دُمى حضرتك مكاسب مالية كبيرة؟

بجماليون: جعلتنى مليونيراً فى الأعوام القليلة التى طفت بها العالم عدة مرات.

لوثيو: (**بعينين مفتوحتين تمامًا، تهرب منه الكلمة رغمًا عنه**) عجبًا!

خـابيـيـر: هل تدر هذه الدُمى كل هذه المبالغ؟

أوليـجـاريو: مع أننا سنراها فإنه يجب على حضرتك أن تشرح لنا الآن...

الـــــدوق: فعلاً يا سيد بجماليون، قل لهم حضرتك...

بجـمـاليـون: بكل سرور. فهذا أفضل موضوع يروقني الحديث عنه؛ لأن أكثر ما يعجبني في العالم هي دُماي. لقد صنعتها بين شوق وحمى وتعيش وتبهر أية أعجوبة مجهولة حتى الآن. إنها تمتلكني تمامًا، صانعها، وبدلاً من أكون السيد أصبحت عبدًا لدُماي.

خـابيـيـر: كيف تعطي حضرتك روحًا لكل دُمية؟

بجـمـاليـون: إن دُماي مثلنا نحن البشر، لها روح خالدة، إلى درجة أنها تتحلل من كل شيء.

لوثيـــــو: كيف؟ ألا تتلف هذه الدُمى؟

بجـمـاليـون: تتلف مثلنا عندما نمرض وأصلحها، لكن عندما يكون التصليح خطيرًا يجب أن أحطم الدُمية وأصنع أخرى. تنتهي مثل البشر.

أوليـجـاريو: شيء لا يصدق.

بجـمـاليـون: تمكنت من إعطائها الحياة التي أحتاج إليها للسيطرة عليها، أراقبها وأوجهها جيداً. أشك أنها تخرج من صناديقها وتعيش حياتها من وراء ظهري وتدبر أفعالاً سيئة. علاوة على أن دُماي تكرهني، وخاصة بومبونينا.

لقد صنعتها غاية فى الجمال مثل أميرات الحكايات
الوهمية، متقلبة ومغرورة مثل الوهم. إنها ليست شيئًا،
لكنها استولت على حياتى مثلما حدث مع ملك قبرص
الشهير الذى أحمل اسمه عندما أحب التمثال الذى نحته،
فقد أحببت أنا أيضًا بومبونينا. من المستحيل تصور شىء
أكثر جمالاً أو أكثر خفة منها.

أوليجاريو: مثل صديقتى تشيتشيتا.

بجماليون: وهل تشيتشيتا طفلة؟

أوليجاريو: (يتنهد) لا! إنها شابة جميلة، صدقنى حضرتك، جميلة
جدًا.

الدوق: وبها صفات أخرى، مثل الذوق، أليس كذلك يا سيد أوليجاريو؟

بجماليون: تشيتشيتا وكل امرأة مهما كان جمالها لا يمكن مقارنتها
ببومبونينا. لكى أصنعها، اخترت وجمعت أفضل الطرائق
التى تخيلها الرجال، وهى بالفعل سحر، وأية امرأة تبدو
بجانبها فظة خشنة.

أوليجاريو: عجبًا، عجبًا!

الدوق: يجب أن نرى بومبونينا فى الحال.

لوثيو: لنر إذا استطعت حضرتك مع دُماك أن تحقق لنا نجاحًا
مدويًا، ومعذرة فى التعبير.

بجماليون: سيكون لحضراتكم الحكم. هناك كثيرون يحبون بومبونينا
مثلى. يمشى وراء دُماى موكب كبير من المغرمين وغريبى

الأطوار، وهم وحدهم يمكنهم أن يملؤوا هذا المسرح وكل المسارح الذى أعرض فيها ولا تكفيهم. أنا نفسى أُحضر، دون أن أريد ذلك، كل جمهور أوروبا للمنتجين.

لوثيـــو: يا للعجب!

خـابيـيـر: كان يتوجب على حضرتك أن تبدأ الكلام بهذه المعلومات.

أوليـجـاريو: وبهذه الطريقة، وعندما يكتظ المسرح بالجمهور، يمكن للإنسان أن يكون ما يحب، حتى لو أراد أن يكون فنانًا.

بجـمـاليـون: لا أستطيع أن أتوسل إلى فينوس، مثلما فعل بجماليون الحقيقى، أن تُحيى بومبونينا كما أحيت التمثال الشهير، لأن دُماى وكل أصدقائها هم بالفعل أحياء ونشيطون، ويصبحون أشخاصًا حقيقيين عندما لا يكونون معى.

لوثيـــو: وماذا تمثل دُمى حضرتك؟

بجـمـاليـون: تُمثل مسرحيات كوميدية فى أغلب الأحوال.

لوثيـــو: **(بحماسة شديدة)** كوميدية؟ لكن كوميديا حقيقية؟

خـابيـيـر: كوميدية بالفعل؟

بجـمـاليـون: كوميدية تمامًا.

أوليـجـاريو: ستعود وتشرق لنا الشمس!

خـابيـيـر: بما أن النقود تأتى من الأعمال الكوميدية.

أوليـجـاريو: فعلاً! يذهب الجمهور إلى المسرح لكى يضحك لا لكى يبكى.

الــــدوق: أسمع هذه الجملة من كل البلهاء الذين قابلتهم منذ أن سِرْتُ فى هذا العالم.

أوليـجـاريو: لن أتضايق لأن حضرتك اعتبرتني أبله.

بجـمـاليـون: أغلب دُماى فظة. نماذج شعبية إسبانية. لقد كبرت إحداها في يدى وأنا أصنعها، لكن بومبونينا والدُميات الأخريات اللائى يرافقنها هن صورة طبق الأصل للجمال النسوى الدنيوى.

لوثيـــــــو: أى إن حضرتك تحمل كثيراً من الحريم.

بجـمـاليـون: لكن بميزة مهمة وهى عدم الإنفاق عليهن.

خـابيـيـر: العكس هو الصحيح، أى إنهن اللاتى ينفقن على حضرتك.

أوليـجـاريو: عجباً ما يحمله هذا الرجل!

بجـمـاليـون: ما أحمله هو حزن كبير. إننى أحب دُمية بجنون، مثل كثير من الرجال، لكنهم لا يعرفون أنهم يعبدون دُمية، أما أنا فأعرف تماماً أنها دُمية.

خـابيـيـر: لو لم نكن نعرف حضرتك لاعتبرنا حضرتك مجنوناً.

بجـمـاليـون: أنا بالفعل فى طريقى إلى الجنون، وهو عقاب من الله لأننى تدخلت فى صنيعه. أعبد بومبونينا ويطمع كثير من دُماى فى ذلك.

الـــــدوق: ومتى نستطيع رؤية بومبونينا؟

بجـمـاليـون: ستراها حضرتك قريباً لسوء حظك، وعند رؤيتها سيتحول إعجاب حضرتك بى إلى كراهية.

الـــــدوق: شيطان بجماليون...

بجـمـاليـون: بدأت تعرف حضرتك كيف صنعت دُماى.

لوثيــــــو: احكِ لنا حضرتك كيف صنعتها.

الـــــــدوق: احكِ لهم لأنه شيء مهم جداً. سترون حضراتكم...

خــابيـــيـــر: كلنا آذان مُصْغية.

(يستمعون إليه باهتمام شديد)

بجــمــاليــون: عندمـا كنت طفـلاً، رأيت هنا فـي مـدريد بالمصـادفـة فـي مـقتنيات إنجليزى ثرى جداً بعض الدُمى القديمة الرائعة التى قام بتصنيعها خوانيتو الشهير، ساعاتى كارلوس الخامس، وفاكوانسون. كانت هذه الدُمى تتحرك وتمشى بطريقة عادية. استحوذت على انتباهى تماماً، وبعد ذلك، وكأن القدر يهيئنى لذلك، رأيت دُمى يابانية وصينية وأقنعة هائلة، ودميتين صنعهما لافيت داوست، وهما تقليد متقن للمرأة. رحلت من إسبانيا، وفى نورمبرج، تلك المدينة الطفولية، التى يُصْنَعُ فيها كثير من لعب الأطفال، ركزت اهتمامى فى صناعة الدُمى. وفى أحد الأيام رأيت فى أحد المتاحف أقنعة ديبورو وأوجه بيروت الشاحبة بفتحات أنف واسعة وأقنعة برونزية من اليابان ومن الخشب المدهون بالورنيش، أقنعة من الكوميديا الإيطالية، بعضها من الشمع المدهون، وأخرى من الحرير ومن الشاش الممدود على خيط سلك. كما رأيت أقنعة فينيسيا التى لها تعبير مبهم، وهى موجز حقيقى للممثل المجروح وغير المتجانس، وعالم من تعويج قسمات الوجوه ومن تشوهات بلاستيكية رائعة...

عندما رأيت كل هذا، استحوذت علىّ فكرة تصنيع الممثل المثالى الخالى من الغرور ومن التمرد، الخاضع لصانعه مثل العجين فى يد النحاتين...

الـــــــدوق: حدث رائع. سيتغير المسرح تماماً.

بجـمـاليـون: وقرأت بعد ذلك موسوعة أيدمبورج فذهب فكرى بعيداً وسيطرت علىّ رغبة التفوق على الميكانيكا، وأن أصنع دُمية - مكونة من طين حساس ومعقد - تشبه الإنسان.

الـــــــدوق: **(يمعن النظر فى بجماليون، ويستمع باهتمام إلى كلامه)** فكرة جريئة!

بجـمـاليـون: راودت الكثيرين، لكنى نفذتها، وأفكر أن أحقق أكثر من ذلك: صنع شىء أفضل من الإنسان.

الـــــــدوق: عجباً!

بجـمـاليـون: إن ما يشجعنى على ذلك هو نتيجة أولى محاولاتى. بداخل دُماى شرايين وأعصاب وأحشاء وسائل يقوم بوظيفة الدم. **(يبقى المنتجون الثلاثة بدون حركة، يداعبهم سبات خفيف)** وأمام الجثمان، أمعنت فى النظر سنوات وسنوات ورسمت خطتى. بحثت عن المواد المناسبة لتحقيق هدفى، المواد الأكثر ديناميكية، بعضها نادر جداً ولم يكن معروفاً حتى ذلك الوقت، وبدأت فى تصنيع دُماى. تحتوى على راديوم وصفائح ممغنطة من نوع خاص من القصدير

ركبتُّها وجعلتها حساسة. **(يبدأ المنتجون في الغفو، يهزون رءوسهم قليلاً)** بها شبكة ألياف نسيجية معقدة جداً استغرق صنعها سنوات من البحث والألم، وقلوب حية حقيقية قابلة للانقباض مأخوذة من الحيوانات وموضوعة بطريقة...

(يُسمع شخير شديد صادر عن دون أوليجاريو لأنه نام تماماً)

بجماليون: **(ينظر إلى المنتجين، يكف فوراً عن الكلام في الموضوع ويقول للدوق بصوت منخفض)** لقد ناموا!

الدوق: **(يقف ويذهب نحو بجماليون على أطراف أصابعه)** صه. تعال معي وأكمل لي الحديث في الخارج. يهمني كثيراً ما تقوله حضرتك، بل يصيبني بالحمى.

بجماليون: منذ سنوات عديدة وأنا مصاب بحمى مستمرة.

(يُسمع شخير جاف ومختلط من المنتجين الثلاثة. إنهم نائمون تماماً وتهتز رءوسهم بشدة كما لو كانوا يتنافسون لإثبات من يقدم أفضل وأسرع نطحة)

الدوق: **(لا يزال يتكلم بصوت منخفض)** كما ترى حضرتك، ينامون عندما تكلمهم عن شيء ذي أهمية حقيقية.

بجماليون: **(بصوت منخفض أيضاً)** شيء طبيعي.

الدوق: إن كل ما يهمهم في هذا العالم هو دفتر الحسابات، والنقود، وشباك التذاكر.

بجماليون: ماذا تريد أن يهمهم أكثر من هذا؟ فعلى شباك التذاكر يعيشون. إنهم مثل دُمى الدالية، يعطون ما يملكون. كلٌ خُلِقَ لما هو ميسر له

السوق: **(يمسك بجماليون من ذراعه ويقوده ببطء نحو الباب، يمشي بحذر حتى لا يحدث ضوضاء)** ألا تتفق معي على أنهم جاهلون جداً.

بجماليون: **(يسير مع السوق)** لم يتعدوا دورهم، ففي كل مكان، ما عدا استثناءات قليلة، فإن كل زملائهم مثلهم تماماً.

السوق: جاهلون مثل هؤلاء؟

بجماليون: أو أكثر، فكل مهنة لها نكبتها.

(يخرجان بصمت تام، لا يزال المتجون الثلاثة في نومهم وشخيرهم وهز رءوسهم. يسدل الستار ببطء)

نهاية المقدمة

الفصل الأول

(فى العمق وعلى الجوانب ستائر غامقة اللون بها طيات كبيرة. وهناك أيضًا على السقف أقمشة مطوية من اللون نفسه. بالقرب من ستائر الوسط تسعة صناديق عالية مدهونة بلون فاتح بحيث تسع دُمية بحجم إنسان طوله عادى. هناك أيضًا على كل جانب بجوار الستائر أربعة صناديق أخرى بالحجم نفسه. كل الصناديق مصنوعة بدقة، وتبدو جديدة، وتبرز فى لون الستائر الغامق. وفى منتصف الغطاء - وهو عبارة عن باب جرّار - وفى مكان مرئى جدًا، لافتتان كبيرتان يمكن قراءة ما هو مكتوب عليهما بسهولة شديدة. تقرأ على أعلى اللافتة الأولى عبارة "انتبه، قابل للكسر"، وأسفل، فى وسط اللافتة تقريبًا، اسم الدمية الموجودة فى الصندوق. أما على صندوق بومبونينا فيقرأ "انتبه جدًا" بدلاً من "انتبه"، و "قابل للكسر جدًا" بدلا من "قابل للكسر". كما يُقرأ على صناديق الدُمى الإناث الأربع "هش جدًا" بدلا من "هش". يجىء ترتيب الدُمى على النحو التالى: فى المنتصف صندوق بومبونينا، وعلى يمينه، وفى مكان مرئى جدًا، صناديق لوثيندا، وماريلوندا، ودون ليندو، وبريكيتو

وعلى يسار صندوق بومبونينا هناك صندوق كل من كورينا، وبونديبيلا، وبرناردو حامل السيف، وأمبروسيو حامل البندقية. على الجانب الأيمن من مقدمة المسرح صندوق خوان الأبله، وبعده صندوق كل من الكابتن أرانيا، وبيروجروين، ومينجو ريبولجو، وعلى الجانب الأيسر من مقدمة المسرح هناك صندوق بدرو أورديمالاس، وبعده صناديق كل من قزم دى لا بنتا، والعم باكو، ولوكاس جوميث. هناك ضوء خافت رقيق ينعكس على الستائر والصناديق. وهناك عزلة تامة)

المشهد الأول

(يدخل المنتجون الثلاثة من يسار مقدمة المسرح بمحاذاة الستائر. يحمل كل واحد منهم معطفًا ويرتدى قبعة. يظهر بعد ذلك البوّاب)

لوثيـــــو: لم يصل بجماليون حتى الآن.

خـابيـيـر: ولا الدوق.

أوليـجـاريو: **(ينظر إلى ساعته)** إن مواعيدهما دقيقة، ولهذا فإنهما لن يتأخرا.

لوثيـــــو: **(يمشى إلى الوراء حتى يقترب من القناديل ليرى تأثير الصناديق التى تبرز فى ظلام الستائر)** لا يمكن بأية حال من الأحوال أن تكون السينوغرافيا أبسط مما هى عليه.

خـابيـيـر: **(يقلد لوثيو)** نعم، إنها بسيطة جداً.

أوليـجـاريو: **(يذهب حيث زميلاه ويلاحظ معهما الصناديق والقماش)** لقد اعتـاد بجماليون عرض مسرحياته بستـائر بها كل الديكور المطلوب، وهذا يُعد شيئًا اقتصاديًا.

لـوثيـــو: هناك ديكور واحـد فـقط للدُمى وديكور آخـر للمـمـثلين الحقيقيين.

خـابيـير: لكن بجماليون يقول إن مستوى دماه يفوق بكثير مستوى كل ممثلى العالم عندما يمثلون أعمالاً مسرحية.

أوليـجـاريو: هذا ما يقوله بجماليون.

لـوثيـــو: سيأتى بعد ذلك العم باكو بالتخفيض.

خـابيـير: **(ناظرًا إلى الصناديق)** هذا هـو العم باكـو **(يشـيـر إلى صندوق الدُمية)** ألا تقرءون؟

لـوثيـــو: **(يقرأ)** أجل. انتبه: قابل للكسر. العم باكو. **(يذهب تجاه الصندوق ويتبـعـه زميـلاه. يفـحص الصندوق ويلمـسـه ويضربه برقة متناهية)** كيف الحال يا عم باكو؟

خـابيـير: انظر حضرتك إذا كان بإمكانه أن يرد علينا...

أوليـجـاريو: يا للرعب!

خـابيـير: تروقنى رؤية الدُمى.

لـوثيـــو: وأنا أيضًا. إنها شىء شيطانى كما يبدو.

(يُسمع صرير متقلب)

أوليـجـاريو: **(ينتفض واقفًا)** ألا تسمعون؟

خـابيـير: أسمع ضوضاء فى هذا الصندوق.

(يشير إلى صندوق لوكاس جوميث الموجود بجانب صندوق العم باكو ويضع أذنه عليه. يقلده الاثنان الآخران. وقفة قصيرة بعد ذلك)

لوثيو: قد يكون مسمارًا أو سوستة انفلتت من الدُمية.

أوليجاريو: **(يحاول فتح الصندوق ويهزه)** لا شيء، لا يُسمع أى شيء.

خابيير: **(يُوقف أوليجاريو)** احترس. ماذا تفعل؟ دعْك من هذا!

لوثيو: يمكن أن تتلف الدُمية، وهكذا لن يكون هناك افتتاح غدًا، ولن يكون أمامنا سوى إعادة ثمن التذاكر التى حُجِزَت لمدة عشرة أيام كاملة.

خابيير: سنكسب كثيرًا من المال.

أوليجاريو: لا تقولا شيئًا لبجماليون، خاصة أنه قد أوصانا بعدم لمس الصناديق.

خابيير: ماذا سنقول له يا رجل.

أوليجاريو: **(ينظر إلى صندوق من بين المفاصل)** كل هذا شيء مقلق ومخيف.

البوّاب: **(يدخل من حيث دخل المتجون، يحمل قبعة فى يده)** اتصل السيد أجوستين وقال إن الفرقة ذهبت إلى فالنثيا، ويقول لحضراتكم إن لم تكونوا فى حاجة إليه فإنه لن يأتى لأنه مزكوم.

خابيير: يمكنه عدم المجىء.

أوليجاريو: البس القبعة يا جارثيا، البس القبعة.

(يطيع البواب)

لوثيـــــو: هل المحاسب موجود؟

البـــوّاب : نعم يا سيـدى، كل المحـاسـبـين مـوجـودون. هل تريد حضرتك أى شيء؟

لوثيـــــو: لا شيء. سأصعد أنا بعد ذلك.

البـــوّاب: حسنًا. **(يهم بالانصراف من حيث جاء)** لقد نسيت أن أقول لحضرتك إن السيد بجماليون قال إذا سمعنا ضوضاء فى الصناديق فلا نقلق **(يشدد كثيراً على كلامه)** لأن أقل تغيير فى درجة الحرارة أو فى حركة الأرض يجعل الميكنة المعقدة جداً الموجودة فى الصناديق تحدث أصواتًا.

خـابيـيـر: عجبًا يا جارثيا، فمنذ أن سـمـعت أعمال بيرموديث الدرامية كل ليلة وأنت تتحدث كأنك كاستيلار!

البـــوّاب: كل شيء يتضارب يا سيد خابيير. لكن لكى نقول الحق فإن بجماليون فنان كبير.

خـابيـيـر: حسنًا يا جارثيا، حسنًا. أحضر بعض المقاعد.

البـــوّاب: لقد قال بجماليون إنه لا يريد أى شيء ولا أى مقعد على خشبة المسرح.

خـابيـيـر: إن كان بجماليون قد قال هذا، فلا تحضر شيئًا. يجب تنفيذ ما يريده بجماليون.

(ينصرف البوّاب)

أوليـجـاريو: **(يُخرج ساعته)** لقد تأخرا! الساعة الآن العاشرة والنصف.

خـابيـيـر: شيء نادر أن ...

المشهد الثانى

(المنتجون الثلاثة والدوق وبجماليون على يسار مقدمة خشبة المسرح أيضًا)

الـــــــدوق: **(يحيى بسعادة بالغة عند الدخول)** طاب مساؤكم.

بجـمــاليـون: أهلا بكم أيها السادة.

لـوثـيــــــو: **(يذهب إليهما بسرعة)** لماذا تأخرتما كثيراً؟

(تحية متبادلة بالأيدى)

أوليــجــاريو: لقد أصبنا بالملل لأن حضرتك لم تسمح بدخول أحد المسرح هذه الليلة، ولا حتي لأسرنا.

بجـمــاليـون: كنتم ستصابون بملل أكثر لو كنتم مع أسركم. لقد تعودت ألا يرى أحد الدُمى قبل العرض سوى المنتج.

خــابيــيــر: لنر إن كنا سنراها أخيراً.

لـوثـيــــــو: نمر بضغط عصبى شديد منذ وصول حضرتك.

الـــــــدوق: لا نستطيع أن نصبر أكثر من ذلك.

بجـمــاليـون: سترونها حضراتكم الآن.

أوليــجــاريو: حمداً لله.

بجـمــاليـون: سأريكم أولا الدُمى الذكور وبعد ذلك الدُمى الإناث. مجرد تقديم سريع فقط. لا يمكنكم رؤيتها وهى تُمثل حتى عرض المسرحيات الثلاث التى كتبتها، والمعلن عنها فى برنامج الغد.

خـابيـيـر: ألا يمكننا رؤية ولو مشهد صغير يجمع كل الدُمى، مثلا؟

بجـمـاليـون: لا يا سيدى.

خـابيـيـر: لماذا؟

بجـمـاليـون: أولاً: لأن هذه الصناديق تعوق تمثيل المسرحية، وهى ليست معدة لكى يراها الجمهور، وليس من المجدى إخراج الدُمى منها الآن. ثانيًا: لأن دُماى عندما تمثل فيجب أن نراها عن بعد، وبعين طفل؛ لأن هذه هى أفضل طريقة لرؤية الفن. ثالثًا: لأن الدُمى تعبت كثيراً من وجودها فى الصناديق فى أثناء السفر، ومن الأفضل أن نتركها تستريح أكبر وقت ممكن.

لوثـيـو: هل تتعب مثل الأشخاص؟

بجـمـاليـون: أجل. لقد قلت لحضراتكم إن هذه الدُمى أكثر من أعجوبة ميكانيكية. إنها الإنسان المستنسخ والخطوة الأكثر جدية لخلق النماذج الأولى للبشرية المستقبلية بدون عيوب الإنسانية الحالية.

أوليـجـاريو: عجبًا!

خـابيـيـر: وهل تأكل الدُمى أيضًا؟

بجـمـاليـون: نعم، طعامًا خاصًا: خلاصة عطرية وزيوتًا ودهونًا.

لوثيـــــــو: أى أن لها تكلفتها.

الـــــــدوق: وكيف يكون جسمها؟

بجـمـاليـون: مثل جسمنا، مطابق وعارٍ. إنه وسيلة للإنسان حتى الآن، ولهذا فالدُمى تسبب لى بعض المتاعب، لكنى سأستغنى عنها يومًا ما بعد أن أكون قد تفوقت عليها.

الـــــــدوق: حضرتك بروميتيو جديد.

بجـمـاليـون: بالضبط، وربما تعاقبنى الآلهة ذات يوم مثل بروميتيو.

لوثيـــــــو: **(يضرب دون خابيير بكوعه)** لقد بدأ فى ذكر الأسماء التى لا نعرف عنها شيئًا.

خـابيـيـر: ويا لها من أسماء!

بجـمـاليـون: بدون صنع هذه الدُمى، لم يكن ممكنًا عمل دُمى أفضل منها بعد ذلك.

الـــــــدوق: فلتسمح لنا حضرتك بأن نراها بسرعة.

بجـمـاليـون: **(يتجه نحو الصندوق الموجود على يمين مقدمة خشبة المسرح ومن خلفه الدوق والمنتجون)** فى الحال. بما أننى ولدت فى إسبانيا فقد بحثت لأعمالى - كما قلت لحضراتكم من قبل - عن نماذج شعبية لهذه الأراضى مساوية لكل الدول. سأرى حضراتكم الدُمى البسيطة أولاً **(يخرج من جيبه مفتاحًا صغيرًا)** لنبدأ بالأبله.

الـــــــــدوق: **(يقرأ ما هو مكتوب على الصندوق)** خوان الأبله.

بجـمـاليـون: حقًا، إنه أبله خبيث جداً، مثله مثل كثير من البلهاء الموجودين هنا.

الـــــــــدوق: حقًا، فعادة ما يكون البلهاء خبثاء وسيئى الظن.

بجـمـاليـون: إن البلاهة ليست كريمة أبداً، فالغباء والشقاء شقيقان.

(يضع المفتاح فى قفل صندوق خوان الأبله ويلفه مرتين، يُسمع صرير قوى وموسيقى عند لف المفتاح)

الـــــــــدوق: ألا تصدقون حضراتكم أننى مفتون؟

خـــابيـــيـــر: وأنا خائف.

أوليـــجـــاريو: وأنا أيضاً.

لـوثـيـــــــو: إنه شىء مزعج هذا الجهاز.

بجـمـاليـون: كنت من قبل أوجه الأوامر إلى دُماى دون أن أكلمها عن طريق دق الأجهزة، لكنى وجدت أن بعض ثقيلى الفهم منها يعانى فى أثناء تمثيل المسرحيات، فاخترت أن أقوم بذلك عن طريق الكلمة. أقوم أنا بدور الملقن. ابتعدوا قليلاً إلى الوراء **(يطيعه الجميع)** كفى! **(ينزع المفتاح من الصندوق)** سيفتح هو الباب. اخرج يا خوان.

(لم يخرج خوان كما كان ينتظر الدوق والمتجون)

المشهد الثالث

(بجماليون والدوق والمنتجون والدُمى التى تظهر حسب الترتيب المذكور آنفًا)

بجماليون: (**أمرًا**) هيا! نفذ ما أمرتك به. اخرج!

(يسمع طقطقة خفيفة من الصندوق الموسيقى، وبعد ذلك صوت سوست وحدائد. يفتح باب الصندوق بسرعة ويظهر خوان الأبله ويتقدم خطوتين تجاه بجماليون)

خوان: كو، كو.

(يرتدى ملابس مثل ملابس الممثل الكوميدى الكلاسيكى التابع للمسرح الساذج السيئ: قبعة صغيرة مثيرة للضحك، خدوده ملونة وطرف أنفه أيضًا، حواجب غريبة، شعر أشعث، فم مدبب أحمر اللون، وجه كاريكاتورى محلوق، صديرىٌ رائع، بنطلون كاروهات غريب وعصا بهلوان كبيرة وثقيلة. ينظر إليه الدوق والمنتجون باهتمام بالغ)

بجماليون: طاب مساؤك يا خوان. سلم على هؤلاء السادة.

خوان: (**وجه جاد، هادئ الجأش تمامًا**) كو، كو.

بجماليون: إنه أقل الدُمى تعقيداً. لا يتكلم سوى الكلمة التى تسمعونها حضراتكم. جعلنى أكتفى بتقليد ميكنة ساعة بسيطة لغول. هيا لكى نرى باقى الدُمى.

خــــــــوان: **(يتمايل وهـو يفتـح عينه ويغلقها فتعوج قسمات وجهه)** كو، كو.

بجـمــاليـون: حسنًا، اسكت.

خــــــــوان: كو، كو.

بجـمــاليـون: **(يذهب عنده، مستبدًا)** أمرتك بالصمت.

خــــــــوان: كو، كو.

بجـمــاليـون: **(يشده من أذنه)** سأضربك ضربًا مبرحًا. اسكت!

(يتقلص خوان فى أنة معدنية شديدة. يتماسك بعد ذلك ويبقى بدون حركة، كوميدى جاد. يعطيه بجماليون ظهره ويتجـه نحـو الدوق. يخـرج خـوان لسـانه ويغـمـز بعـينه بسخرية)

الــــــــدوق: **(يتأمل الدُمية)** شيء عجيب، إنه يخرج لسانه كالإنسان.

خــابيـيــر: إنه توريبيو كامل.

بجـمــاليـون: ليس توريبيو، ما هو إلا خوان الأبله لا أكثر.

لـوثـيــــــو: إنه تقليد جيد جدًا، عجبًا!

أوليــجــاريو: طبيعى جدًا!

بجـمــاليـون: **(لا يزال يعطى ظهره للدُمية، ينظر إلى الأشخاص الأربعة ليرى تأثير الحدث فيهم)** هذا ليس شيئًا. سترون الآن أكثر وأكثر.

(يغمـز خوان بعينه ساخرًا ويخرج لسانه من وراء ظهر بجماليون)

السـوق: **(ينظر إلى الدُمية مدهوشًا، وكذلك المنتجون) يحرك عضلات وجهه جيداً!**

لوثيـو: عظيم!

بجماليون: لكن ماذا... ماذا يحدث؟ **(يلف فجأة أمام خوان فيدهش عندما يجده يسخر منه)** آه منك، أيها المكار!

(يشده مرة أخرى من أذنه ويُسْمَع صرير معدنى جديد)

السـوق: تستطيع حضرتك إخفاء الغضب جيداً.

أوليجاريو: وكل شىء متفق تماماً.

بجماليون: كيف؟ لست متفقًا مع دُماى. هذا الأبله يسخر منى رغماً عنى.

السـوق: حضرتك ممثل صامت قدير يا سيد بجماليون.

خابيير: تغش حضرتك بطريقة رائعة.

بجماليون: أؤكد لحضراتكم أننى صريح ولا يوجد هذا الغش **(إلى خوان)** إن لم تهدأ وتكف عن السخرية منى، فسأحضر عصا شجرة الزيتون.

خـوان: **(برعب مفاجئ وباتساع فى عينيه من الخوف، يكرر بسرعة)** كو، كو، كو، كو، كو، كو، كو.

بجماليون: أنت تعرفنى تماماً. لن أكرر أكثر من ذلك. وكُف عن الكو، كو.

(يتجهم وجه خوان ويتسم بالوقار)

السـوق: من المستحيل إعطاء حياة أكثر من هذه لدُمية!

لوثيـو: مصنوعة بطريقة جيدة جداً!

بجماليون: أعود وأؤكد لحضراتكم أن ما يحدث الآن ليس ضمن البرنامج، وليس مسرحية؛ وإنما حدث حقيقى. إن دُماى تَكرَهنى وتُغضبنى عندما تستطيع، وأنا فى حاجة إلى أن أعاقبها وأوقفها عند حدها.

لوثيو: عجبًا يا سيد بجماليون، لا تسخر منا أكثر من ذلك يا رجل!

بجماليون: **(يهز كتفيه محتقرًا)** حسنًا، اعتقدوا حضراتكم ما يحلو لكم! لن نتكلم ثانية فى هذا الموضوع! **(ينظر إلى خوان)** نفذ ما أمرتك به! لنر الدُمى الأخرى.

(يدخل المفتاح فى الصندوق المجاور لصندوق خوان. تصدر الأصوات الموسيقية الشديدة نفسها عندما يلف المفتاح)

الدوق: **(يقرأ بصوت عالٍ الكلمات الموجودة على الصندوق)** الكابتن أرانيا.

خابيير: سنرى كيف تكون هذه الدُمية.

بجماليون: **(أمام الصندوق)** إنه يتكلم مثل الآخرين. ستعانون حضراتكم كثيرًا حتى تصدقوا أنها حقًا دُمى. **(يبعد بالإشارة الدوق والمنتجين فيتحركون خطوة إلى الوراء)** تفضل واخرج أيها القائد.

(يفتح باب الصندوق ويظهر القائد أرانيا ويسمع الصوت المعدنى نفسه للسوست والحدائد الذى صدر من خوان. يخرج ويتقدم عدة خطوات. يمثل دور رجل فى الخمسين من عمره، هيئته كاريكاتيرية أيضًا، يرتدى زيًا عسكريًا غريبًا.)

يضع ثلاثة أشرطة عريضة فوقها ثلاثة نجوم كبيرة مرئية على حاشية كل كم. هناك سيف محدب على خصره، وينتعل حذاء عسكريًا. لحيته طويلة جدًا ورمادية اللون وفوقها شارب ضخم رمادى اللون أيضًا، طويل ومثنى وطرفه مسنن مثل طرف اللحية)

القـــــائد: (يقف مستعداً ويحيى بجماليون تحية عسكرية) تحت أمر سيادتك. (ينزل يده ويتجه نحو الدوق والمنتجين) طاب مساؤكم يا سادة.

(يبقى جامدًا وهادئًا مثل خوان الأبله)

لوثيـــــو: يا للعجب!

أوليـجـاريو: يتكلم مثلنـا. (يصل عند القائد ويتفحصه عن قرب) لا يُصدق أن هذا دُمية.

بجـمـاليـون: منذ وقت طويل ودُماى مجربة ومتباينة. يمكنكم تفحصها عن قرب، وذلك عندما يأتى الوقت المناسب. لا تقتربوا منها الآن حتى لا تضايقوها، لأن بعضها سيئ المزاج ويمكن أن يوجه إلى حضراتكم ضربة رأس.

أوليـجـاريو: (يبتعد بسرعة عن الدُمية) عجبًا!

بجـمـاليـون: سترون الآن كل الدُمي التى تمثل الجنس القوى. (يخرج بسرعة المفتاح الصغير ويضعه فى صناديق الدُمى دون أن يفتح أى باب. يُسْمَع صرير موسيقى ومعدنى عند لف المفتاح. ينظر الدوق والمنتجون الثلاثة بدهشة تارة إلى

الصندوق وتارة أخرى إلى بجماليون أو إلى الدميتين اللتين لا تتحركان. يقول بعد أن ينتهى من لف المفتاح في آخـــر صندوق من صناديق الدُمى التى تمثل الجنس الخشن) أيها السادة، أفضل التماثيل المصنوعة من الشمع الموجودة فى متحف جريفين، والتى قام بعملها المتخصصون فى هذا المجال، هى تماثيل لا معنى لها كفن تقليدى، مثل: عربة كاموس الشهيرة الفاخرة التى صُنعَت لكى تُسلِّى لويس الرابع عشر فى طفولته، ولاعب الشطرنج الشـهـيـر المصنوع من محاولة فظة، وراقصو مايلزل المدهشون والبطة الرائعة التى صنعها فاوكانسون، والتى كانت تأكل الحبوب التى كانت تلقى لها، وكانت تغطس فى الماء مثل مثيلاتها الأحياء - إن كل هذه العجائب الميكانيكية، وكل ما عرف حتى الآن من عالم الدُمى، لم يعد أعجوبة أمام ما سترونه **(يضرب بكفيه مرتين عندما يتجه إلى الصندوق)** اخرجوا من الصناديق يا سادة!

(فترة صمت وتوقع. لم تخرج الدُمى)

خـــــوان: **(يقطع فترة الصمت بغنائه)** كو، كو.

بجماليون: **(غاضبًا، إلى الأبله)** لقد قلت لك أن تسكت أيها الأبله! **(يتجه مرة أخرى نحو الصناديق)** هيا، اخرجوا بسرعة، اخرجوا كلكم. إن بجماليون هو الذى يأمركم بذلك. **(يصفق بلهجة آمرة)** هيا اخرجوا!

(ضوضاء عامة مثل ضوضاء الصناديق. هناك عدة صناديق موسيقية، تتوقف هذه الضوضاء عند الانتهاء من فتح أبواب الصناديق. يخرج في آن واحد كل الدُمى الذكور. دون ليندو، وصيف بومبونينا الأمرد، رشيق، يرتدى بدلة رائعة مثل بدل الوصفاء الجميلة فى الأوبرا، لا يحمل قبعة، شعر مستعار جميل أشقر مُصَفَّف على خصلات على الجانبين. يحمل معطفًا قصيرًا وسيفًا صغيرًا رائعًا. مينجو ريبولجو، يرتدى بدلة عصرية، ذو شعر كستنائى، وجه بدين مألوف، ألوان فى الخدود، كرش واضح، سلسلة ذهبية سميكة فى الصديرى، دبوس ذهبى فى ربطة العنق وخواتم لامعة فى يده اليسرى. بريكيتو، مزين كأولاد الأشراف قليلى الشأن، حذاء بوتين وعصا صغيرة من الأسل رفيعة وقابلة للانثناء. قزم دى لا بنتا، يرتدى ملابس عصرية غامقة مثل أغلب الدُمى، ذو وجه غير عادى ومرعب، حواجب كثيفة جدًا، شعر أهلب يبدأ من منتصف جبهته ويطل من أنفه ومن أذنيه، يده مليئة بالشعر ويضع دبوسًا ضخمًا على بدلته. أمبروسيو حامل البندقية، ملامحه مثل ملامح صيادى اليوم، قبعة صغيرة رقيقة، معطف، بنطلون قصير، حذاء نصف رقبة بلون الجلد، جراب فى الخصر وبندقية صغيرة على ظهره على شكل لعبة. برناردو حامل السيف، يرتدى زيًا ما بين المدنى والعسكرى،

ياقة تغطى ساعديه حتى بعد المرفق، قبعة عالية فوق رأسه، لحية طويلة على شكل مروحة، وسيف ضخم ومبهرج يصل طرفه إلى الأرض تقريبًا. العم باكو، عريض ومربع بمظهر فلاح قليل الكلام، سترة قصيرة وقبعة ذات أجنحة عالية. لوكاس جوميث، مصاب بالجدرى، عينه السليمة بها احمرار والأخرى مغطاة بقطعة قماش سوداء، شعر مستعار قصير رمادى اللون، أنف أذلف، فم معوج كبير، ومظهر أخرق يظهر قطعة قماش من كل لون ويضع ربطة عنق ذات لون صارخ. بيروجرويو، طويل، رزين ومشدود القامة، أنيق، شعر أشيب ومظهره كعضو مجلس نواب أو سياسى مهم. يرتدى سترة طويلة وقبعة عالية. بدرو أورديمالاس، نحيف وهزيل بمظهر إكليروسى، شعره قصير ومُصَفَّف إلى الوراء، وجه رقيق، صارم وذكى، لحية محلوقة، حواجب غليظة، عيون براقة جدًا ومدورة وعميقة جدًا. أنفه صغير أعقف، وفمه رقيق. يمشى ببطء فى الظلام. تبقى الدُمى ثابتة بعد أن تقدمت خطوتين كما لو كانت بدون حياة إلى أن يأتى دورها فى الكلام عند بدء الأحداث. إشارات الدُمى وإيماءاتها معبرة جدًا، وحركاتها كذلك. لا يفعل الدوق والمنتجون الثلاثة – الذين يقفون عند مقدمة خشبة المسرح مدهوشين – شيئًا سوى النظر إلى الدمى. يقف بجماليون بالقرب منهم متلذذًا بالتأثير الذى أحدثته الدُمى فيهم)

بجماليون: **(يذهب نحو القائد بعد لحظة صمت)** ها هو أمام سيادتكم القائد الشهير أرانيا. لم يهيِّج شعبًا ضد آخر، كما فعل الشاعر الأعرج الخراج الولاج تيريو، بل على العكس، فقد استطاع في أفضل أوقاته الأسطورية أن يجعل أممًا كثيرة تتشاجر فيما بينها. وجعل أيضًا أصدقاءه القادة يتشاجرون ببطولة ويموتون في ميدان القتال، وهو الذي لم يكافح قط، سُرَّ برؤيتهم وهم يتصارعون ويموتون عن بعد. ويعمل أيضًا على تجنيد الكثير والكثير لتزويد عدد قوات هؤلاء القادة. وكما ترون فإنه أفضل سكان الوطن. يجب على أمهات شعبه وشعبه أن يكنوا له كل الشكر.

القائد: **(كثير الأبهة. يتكلم بفخامة ويرن صوته في صدره)** فعلاً! والدليل على ذلك أنهم خلدوني.

السوق: شيء رائع! يُعبر مثل الإنسان.

خابيير: أجل! مثل الإنسان.

القائد: **(يحيي مرة أخرى بطريقة عسكرية)** أنا تقريبًا إنسان، وأية مؤسسة ينقصها شخص مثلي. ليس هناك أحد مثلي في حث الناس على التجنيد وتجميع الإرادة وإلزام العالم، وأيضًا في خدمة الدولة والمثالية.

بجماليون: لقد علموا بذلك يا سيادة القائد. **(يعطيه ظهره ويقترب من الدُمى الموجودة في الوسط)** بيريكيتو **(يشير إليه بإصبعه)** صديق كبير لدُمياتي التي تدلله كثيراً. تتوافر فيه كل

الشروط المشوقة لكى يعجبها. إنه جميل، تافه، فاسق، خفيف ومسل جداً ومحدود الذكاء. بما أنه لا يجب أن يتكلم أبداً عن أى شيء فإنه يتكلم دائمًا عن أحد ماذا يحتاج أكثر لكى يكون سعيد الحظ مع الجنس اللطيف؟ علاوة على أن لديه كثيراً من البدل، وهو إنسان طائش ممتاز.

بيريكيتو: شكراً جزيلاً. هذا فضل من حضرتك.

لوثيو: عجباً! يفهمون كل شيء.

أوليجاريو: شيء عجيب، عجيب!

الدوق: لم تر دُمى أكثر إتقانًا من هذه.

خابيير: ستحقق حضرتك نجاحاً مدوياً.

لوثيو: نجاحا أكيداً.

أورديمالاس: أكيد! فلنتحفظ على الكلمة.

خابيير: عجباً! من يكون هذا الشخص الجنائزى الشيطانى؟

بجماليون: إنه بدرو أورديمالاس (**مدبر السوء**).

لوثيو: فعلا، فوجهه يدل.. على تدبير السوء.

بجماليون: (**يقترب من أورديمالاس**) إنه أعقد دُماى، وكلفنى صنعه الكثير، وهو ذكى مثلى. لا يمكن صنع أفضل منه، ولا تركيب رأس مستعار أفضل من رأسه. به عيب واحد ألا وهو الشر. لقد أفزعنى وأنا أصنعه، لكن لم يكن لدى وقت للاستدراك، ولم يكن أمامى سوى إما أن أحطمه أو أن أنتهى من تصنيعه، فاخترت الحل الأخير.

أوريديمالاس: أحسنت صنعًا. لا غنى عنى فى الأعمال المسرحية، فبدونى لم يكن ممكنًا وجود المسرح، ولا عالمنا، ولا عالمك، ولا العالم الآخر الذى تقول إنه موجود. أنا أحد الأشياء الضرورية التى لا يمكن العيش بدونها.

العم باكو: **(يتجه نحو أوريديمالاس)** إنك تبالغ يا رجل، تبالغ. **(يتكلم ببطء وبإشارات هادئة مثل إنسان عجوز مكار وبلهجة واعظة مثل القرويين الذين يدعون باطلا العلم)**

بجماليون: **(يشير إليه)** ها هو العم باكو، ليس جميلاً جداً، لكنه متواضع وحكيم. لا يحب أن يخدع، ولا يستطيع تحمل المبالغات. كان يمتلك حانة فى قريته عندما كان شاباً، وكان يتلذذ دائمًا بإضافة الماء إلى الخمر لكى يقلل من سعره ويجعله فى متناول الجميع، ولهذا فإنه يمثل دوره بإتقان فى المسرحيات ويصفق له العامة كثيراً.

العم باكو: ليس إلى هذا الحد، ليس إلى هذا الحد.

مينجو ريبولجو: **(يضع يده اليمنى على كرشه ويداعب السلسلة الضخمة التى تلمع فى صدرية بدلته)** فعلا ليس إلى هذا الحد! مينجو ريبولجو إنسان عاقل ومتزن، ويصفق دائمًا باعتدال وتعقل شديد.

بجماليون: فعلا، لا يضيع هذا الدُمية أبداً الوقت فى التحمس. اعتنيت به أيضًا عند صنعه. يحمل مجموعة كبيرة من

المجوهرات تُرى على بعد مائة فرسخ، وجيبه ممتلئ تماماً.
إنه يحتفظ بجزء كبير من مكاسبى؛ لأنه ليس هناك مثله
للقيام بهذه المهمة. إنه أمين الصندوق.

مـــينجـــو ريبولجو: لأنى دُمية شريف.

(تسمع جشأة قوية وبذيئة تهرب من لوكاس جوميث الذى يضع يده بكسل شديد وبعد فوات الأوان على فمه)

لـوثيـــــــو: **(ينظر بدهشة إلى لوكاس جوميث)** عجبًا!

خــابيــيــر: صحة وعافية!

أوليــجــاريو: خرجت كلماته بطريقة طبيعية!

بجـمــاليـون: لقد كنت دائماً قليل الأدب وترتكب أخطاء فظيعة يا لوكاس.

الـــــــدوق: هنا كثير من لوكاس جوميث يا سيد بجماليون وستعرفهم كل يوم.

بجـمــاليـون: تمثل دُماى جيداً فى كل مكان مع أنها تحمل أسماءً إسبانية.

بيـروجـروبو: **(جاد جدًا)** لا خلاف بين الناس فى بعض الأمور.

العم باكـــو: **(ينظر إلى بيروجروبو)** نعم، لا خلاف على هذا.

خــابيــيــر: يتكلمون بطريقة جيدة جداً.

لـوثيـــــــو: لكن كيف تتدخل هذه الدُمى فى الوقت المناسب؟!

أوليــجــاريو: لا يمكن التوصل إلى أكثر من هذا.

بيروجرويو: **(يتقدم خطوة، يمد يده اليمنى بهدوء، يتكلم ويلوح بيديه بخفخة شديدة ويشكل دائرة صغيرة بالسبابة والإبهام)** وإن لم يكن هناك خلاف بين الناس فى بعض الأمور فالسبب يرجع إلى أنه ليس هناك أصلا مثل هذه الأمور.

بجماليون: إن السيد بيروجرويو هو العبقرية المؤكدة المكرمة والمعروفة بين دُماى. تقدره كل الدُمى وتستشيره. إنه أكبر سلطة بينها، ولو استقلت ذات يوم وشكلت حكومة فسيكون هو رئيس هذه الحكومة. إن الشخص الوحيد الذى يسخر منه قليلا هو أورديمالاس.

أمبروسيو: وأنا.

برناردو: وأنا.

أمبروسيو: سأقوم أنا وبرناردو بإسقاط هذه الحكومة.

القزم: **(يواجه برناردو وأمبروسيو، يحرك عينيه المتوحشتين المرعبتين، يظهر أسنانه البيضاء المسننة الرهيبة ويلوح بالصولجان)** وهل أنا أكتع؟

السوق: وهل هؤلاء هم الشجعان؟

أوليجاريو: **(يتخذ لوثيو ساتراً)** نبهنا حضرتك حتى نحتاط.

بجماليون: لا تفزعوا. ليس هؤلاء هم الذين يجب علينا أن نحتاط منهم.

أمبروسيو: **(يرفع البندقية بمحاذاة الوجه ويصوبها إلى أعلى)** لسنا نحن؟ **(يطلق النار، لكن الطلقة لا تخرج. يسمع صوت الزناد)** لا تخفق بندقيتى أبداً.

العم باكـــو: تخفق تسعًا وتسعين من كل مائة مرة.

بـــرنـــاردو: لقد استُهلك سيفى المجيد من كثرة الطعن.

(يخرج سيفًا خشبيًا ويلوح به، ليس له حد ولا سن، مستهلكًا ومحطمًا تمامًا)

القـــــــزم: **(يلوح بالصولجان)** ليس هناك شىء مثل هذا الصولجان!

خـــــوان: **(ساخرًا)** كو، كو.

القـــــــزم: **(غاضبًا، يهدد خوان بالصولجان)** اسكت أيها الأبله.

خـــــوان: **(بالنغمة الساخرة نفسها)** كو، كو.

بجـمـاليـون: **(بعصبية)** اسكتوا كلكم. هدوءًا!

بيـروجـرويو: **(يرفع ذراعيه بصخب شديد)** مع السكوت يحدث الهدوء.

أوليـجـاريو: **(ينظر إلى شريكيه)** عجبًا لهذا الدمية.

بجـمـاليـون: **(إلى دون أوليجاريو)** إنه شخصية مهمة. لقد ترأس هذا الدُمية مجلس الشيوخ بنجاح باهر فى مسرحيتى الشهيرة "ليسيستراتا الحديثة". والآن، وبعد أن تعرفتم إلى الدُمى الذكور، سأقدم الجنس اللطيف.

أوليـجـاريو: هيا بنا إلى الجنس اللطيف.

الــــــدوق: لنر الدُمى الإناث!

بجـمـاليـون: سأبعد الدُمى أولا **(يتجه إلى الدُمى)** هيا، جاهزون!

(ضوضاء شديدة، قشعريرة فى أحشاء الدُمى التى تتمدد فى وقت واحد أكثر مما كانت عليه) واحد، اثنان!

نصف لفة! (تطيع الدُّمى فى الحال ما عدا الوصيف، تلف حول نفسها كما لو كانت فوق محور) ادخلوا!

(تدخل كل الدُّمى فى الصناديق ما عدا دون ليندو الذى لم يتحرك من مكانه، تلف نصف لفة وتغلق الأبواب. تسمع صرخات حلقية حادة فى صندوق لوكاس جوميث لأنه أغلق الباب على يده ويبقى غطاء الصندوق مواريًا)

لوكــــاس: (من صندوقه) آى، آى، آى، آى، آى!...

الـــــدوق: (مذعورًا) ما هذا؟

خـابيـيـر: (مذعورًا مثل زميليه) ماذا حدث؟

لوثيـــــو: هل حدث شىء؟

بجمـاليـون: لا شىء، لم يحدث شىء خطير. (يذهب بسرعة ليتدارك الألم فيخلص إصبع الدُّمية من الباب ويغلقه) لقد كنت دائمًا ثقيل الفهم يا لوكيتاس.

الـــــدوق: إنه شىء عجيب، عجيب كيفية تقديمك للدُّمى.

لوثيـــــو: شىء لا يصدق!

خـابيـيـر: فعلاً لا يصدق!

أوليـجـاريو: فعلاً عجيب!

الـــــدوق: (يشير إلى الوصيف) ولماذا لم يدخل هذا الدُّمية؟

بجمـاليـون: لأنه شاعر شاب وعاشق ويعرف أن بومبونينا ستخرج الآن، ويريد أن يراها، وأن يوجه إليها النظرات والتنهدات، ويقول لها بصوت منخفض مرثية أو قصيدة غزل.

الصندوق: سيكون ذلك شيئًا مسليًا. لا تدعه يدخل إلى صندوقه.

بجماليون: سيكون مسليًا لحضراتكم وليس لى. **(يرفع صوته)** ادخل يا سيد ليندو! لن نحتاج إليك.

ليندو: ولكن بومبونينا تحتاج إلىَّ.

(يتكلم بعذوبة وبلهجة مدللة وحزينة)

بجماليون: لا يا رجل، لا. هيا ادخل.

ليندو: من الذى سيساعدها على الخروج من الصندوق إن كسلت تمشى وحدها؟ من سيهوى لها بالمروحة لو كان الجو حارًا؟ مَن الذى سيقدم لها الملبس والشيكولاتة والمثلجات إن كانت ظمآنة؟ مَن يستطيع أن يمدحها مثلى ويتغنى بنعمها؟ إن بومبونينا فى حاجة ماسة إلىَّ.

بجماليون: لكنى لست فى حاجة إليك، اذهب!

ليندو: دعنى أبقى هنا.

بجماليون: لا!

ليندو: تخرج هى ولا أراها! هل أعطيتنى الحياة لكى تجعلنى شقيًا؟

بجماليون: ادخل!

ليندو: سأحكى لبومبونينا طريقة معاملتك لوصيفها.

بجماليون: لا تكن مغرورًا. إن بومبونينا ترى كل شىء تافهًا.

ليندو: فعلاً، لسوء الحظ.

بجماليون: إلى صندوقك.

ليندو: سأدخل غصبًا عنى، لكن سجل احتجاجى.

بجماليون: حسنًا! هذا شيء لا يهمني! سيسجل الاحتجاج! (بلهجة آمرة) واحد (يتحرك الدمية) اثنان! نصف لفة! (يطيع الوصيف) إلى داخل الصندوق!

(يدخل دون لينو صندوقه ويغلق الباب مثلما فعلت باقي الدُمى)

بجماليون: حمداً لله!

الدوق: شيء مثير، رائع! هيا بنا نرى الدُمى الإناث.

خابيير: أجل، أجل! الدُمى الإناث، الدُمى الإناث!

أوليجاريو: هل هن جميلات؟

بجماليون: جميلات جداً.

الدوق: نكاد نُجن من كثرة الفضول.

بجماليون: سأفقد تعاطف حضرتك وصداقتك عندما ترى بومبونينا.

الدوق: لقد قلت هذا الكلام عدة مرات، وأرى أن هذا شيء غير معقول.

بجماليون: ستقتنع بكلامي. لقد سبب لي إتقان صنع هذه المرأة المستعارة أحزانًا لا حدود لها. هناك من حلف بالله أنه سيقتلني لكي يستحوذ على الدُمية، وبين كل اللعنات التي أصابتني، هناك لعنة أقلقتني ولا تزال تقلقني. نهاية الأمر يا سيادة الدوق، ستجد نفسك أمام أكبر إغراء في حياتك.

الدوق: عجباً!

بجماليون: أشد ما يجذب في الحب هو المستحيل، الذي لا فائدة منه، والزائد عن الحاجة، وما بومبونينا إلا كل هذه الأشياء. أعبدها رغمًا عني، ومن هنا يبدأ عقابي على صنع هذه

الدُمى. لا أجعلها بجوارى لأنى أخاف من نفسى، لكن
سيأتى اليوم الذى لن أستطيع أن أتماسك، وسأقوم بعمل
مجنون، وهو أننى سأعيش مع بومبونينا، وسينتهى
بجماليون وأحلامه بخلق عالم أفضل.

السـوق: بالإضافة إلى أن حضرتك فنان كبير فإنك ممثل هزلى
محترم، وتتكلم من بطنك، وتقلد بطريقة بارعة جداً.

خابيير: وممثل كوميدى كبير جداً.

بجماليون: أى أننى ممثل هزلى وكوميدى ومتكلم من بطنه، أليس
كذلك؟ سترون حضراتكم الآن.

السـوق: هذا ما نتوق إليه.

(يخرج بجماليون حقيبة صغيرة ويفتحها ويبحث فيها،
أمام توقع الأشخاص الأربعة، يخرج مفتاحاً صغيراً،
أصغر من السابق، ويصل إلى الصناديق الموجودة فى
الوسط الموجودة بها الدُمى الإناث ويبدأ فى فتحها كلها.
يُسْمَع عند لف المفتاح صوت صافٍ وموسيقى سارة مثل
الأجراس التى توضع وراء بعض الأبواب)

بجماليون: **(يقترب من صندوق بومبونينا ويضغط على زر غير مرئى**
بجانب الصندوق ثم يبتعد عدة خطوات) بومبونينا،
اخرجى أيتها البارعة.

المشهد الرابع

(الشخصيات نفسها ويومبونينا التى تفتح باب الصندوق قليلا على أنغام الأجراس المعدنية وتطل برأسها الأشقر المغطى بقبعة جميلة ووجهها الرائع الجميل وجلدها المرمرى. هناك شامة لطيفة على خدها الأيسر بالقرب من فمها. عينان زرقاوان لامعتان، نظرة رقيقة. تتأمل المكان وتنظر إلى بجماليون ورفاقه بطريقة قاتلة)

خابيير: عجبًا، يا له من وجه!

أوليجاريو: **(يتنهد)** آه، ربى!

لوثيو: صورة مطبوعة بالألوان!

الدوق: لا تقل حضرتك تفاهات. إنها فينوس الشابة.

بجماليون: كل واحد يُعبر كما يحلو له. حسنًا ما قاله دون لوثيو. إن جمالها فى حدود المعهود، عينان زرقاوان، بشرة صدفية، شامة على الخد، وبكل هذه العناصر المعروفة جدًا تبدو إلهية.

الدوق: **(بحماسة شديدة)** جميلة الجميلات!

بجماليون: هناك أشياء لا تستطيع كل رواسب الشعر السيئ أن تجعلها سوقية: ليالى القمر والبحر والنساء الجميلات.

بومبونينا: **(تخرج بعد أن تفتح باب الصندوق تمامًا وترفع تنورتها قليلا، تخطو عدة خطوات وتحيى بوقار، فى الوقت الذى تعزف فيه موسيقى ناعمة وخافتة)** طاب مساؤكم.

(ترتدى فستانًا من الحرير الناعم الجميل مثل أميرة واتيو. يتدلى من وسطها حلقان من سلسلة ذهبية. مروحة مدورة ومرآة صغيرة من الفضة المصقولة بيد ذهبية)

الـــــــدوق: (يضم يده مفتونًا) يا لها من أعجوبة!

أوليـجـاريو: سيغشى عليَّ!

خـابيـيـر: عجبًا!

لوثيـــــــو: يا للفظاعة!

(يحاولون الاقتراب)

بجـمـاليـون: (يوقفهم بالإشارة) يجب أن تروها الآن عن بعد. سأترك حـضـراتكم فى يوم آخـر ترونهـا عن قـرب بدون أن تلمسـوها. (يرجع الأربعة وهم يراقبون بومبونينا مشدوهين. تأخذ بومبونينا مرآتها المعلقة وتنظر فيها وتصلح شعرة متناثرة وتنظر إليهم بدلال. يخرج علبة شيكولاتة من جيبه ويعطيها لبومبونينا) شيكولاتتك.

بومـبـونينا: (تأخذ العلبة بجفاء) شكرًا. وأين زهورى؟

بجـمـاليـون: ليست هناك زهور اليوم لأنك معاقبة.

بومـبـونينا: (تطلق إيماءة دلال وغضب) أنا لا أحبك لأنك تعاقبنى.

بجـمـاليـون: فلتكونى جيدة.

بومـبـونينا: لا يروقنى ذلك.

بجـمـاليـون: لا تكونى قليلة الحياء.

بومبونينا: غيظ، غيظ. سأزداد كل يوم سوءًا وأكثر سوءًا. غضب وغضب.

بجماليون: بومبونينا!

بومبونينا: **(تطلق له إشارة أخرى)** أبله!

السوق: **(يقف بجوار المنتجين، تخرج الكلمات رغمًا عنه)** بومبونينا الجميلة!

بومبونينا: **(تعود وتنظر فى المرآة)** يسموننى هكذا نظرًا إلى جمالى.

بجماليون: إلى من يجب أن تشكرى جمالك؟ من الذى جعلك هكذا؟

بومبونينا: الله.

بجماليون: وأنا.

بومبونينا: ألا تقول إن الله هو خالقك؟

بجماليون: أجل هو الذى خلقنى.

بومبونينا: إن لم يكن قد خلقك الله فإنك لم تكن تستطيع أن تصنعنى إذن. **(ترفع غطاء علبة الشيكولاتة وتأخذ قطعة وتأكلها)** إنها شيكولاتة جيدة جدًا **(ترفع العلبة)** مَن يريد؟

السوق: **(إلى بجماليون)** هل يمكن أن آخذ قطعة؟

بومبونينا: **(تخفض العلبة)** يا لك من ظريف! لا يا سيدى! لقد قدمتها لكم من باب المجاملة. إنها لذيذة جدًا وأحتفظ بها لنفسى.

بجماليون: إنها دُمية أنانية جدًا.

السوق: لكنها رائعة!

أوليجاريو: لو كنا نعلم أن بومبونينا تحب الزهور لفرشنا خشبة المسرح بالزهور.

الـــــــــدوق: سأوصى غداً بأن يحضروا لها كل الزهور الموجودة فى حدائق مدينتى مرسية وبلنسية.

بومبونينا: **(سعيدة جداً، تكلم بجماليون)** لقد أعجبتهم، لقد أعجبتهم.

لوثيـــــــو: لقد أعجبتنا!

خـابيــيـر: **(يقترب هـو والدوق والمنتجون مرة أخرى من بومبونينا)** لقد أطربتنا.

بجـمـاليـون: **(يحول دون اقترابهم منها)** لا تأتوا هنا. يجب أن تتركوا مسافة بين حضراتكم ودُماى.

الـــــــــدوق: **(يبتـعـد قليـلا هو والمنتـجـون)** خذ كل ثروتى مقابل هذه الدُمية يا سيد بجماليون.

بجـمـاليـون: لن أبيعها أبدا. إن ثروتى تزداد وتصل إلى عدة ملايين.

الـــــــــدوق: يا للخسارة!

بجـمـاليـون: ستفقد حضرتك بومبونينا على الفور بدون ثروة. لا تعرف حضرتك كم يساوى هذا الشىء العجيب.

الـــــــــدوق: وأى شىء عجيب. إنها ملاك!

بومـبـونينا: **(تُهوى بالمروحة)** فعلا، ملاك!

بجـمـاليـون: ملاك بدون أجنحة، ومن أغلى الملائكة وأهمها، صدقنى حضرتك.

بومـبـونينا: **(تغلق المروحة وتهدد بجماليون بها)** لا أحبك، اغرب عن وجهى!

بجـمـاليـون: اسكتى!

بومـبـونينا: اسكت أنت!

بجماليون: جميلة جداً الطريقة التى تردين بها علىَّ!

بومبونينا: لقد مللت منك. سأهرب عندما أستطيع.

السوق: ليكن هذا الهروب معى!

لوثيو: عجباً لهذه الدُمية!

أوليجاريو: إنها جميلة جداً!

بجماليون: تحقق النجاح نفسه دائماً! لا تخفق!

خابيير: كيف تخطئ يا رجل، كيف تخفق!

بجماليون: سترون الآن وصيفات شرف بومبونينا. يلفتن الأنظار مرتين إن لم يكن بجانبها.

(يذهب حيث الصناديق الأربعة ويضغط على زر جانبى موجود بكل صندوق مثلما فعل مع صندوق بومبونينا)

السوق: لا يمكن رؤية شيء آخر بعد ما رأيناه.

أوليجاريو: لا شيء أبداً! تبدو صديقتى تشيتشيتا ممسحة بجانب بومبونينا.

بجماليون: (بصوت شديد ومستبد) ماريلوندا، دونديتيلا، كورينا، لوثيندا، إلى الخارج.

(صوت أجراس موسيقية معتدلة. تفتح أبواب الصناديق الأربعة وتظهر بداخلها الوصيفات الأربع. شابات ذوات وجوه جميلة وناعمة. اثنتان شقراوان واثنتان سمراوان. وكلهن يتمتعن بشعر طويل وراء ظهورهن، ويلبسن تنورات قصيرة، وأحذية متقنة، وتتدلى من رقابهن نظارات صغيرة بأيدٍ طويلة)

المشهد الخامس

(الشخصيات السابقة نفسها والوصيفات الأربع اللاتى خرجن من صناديقهن. يرقصن ببطء شديد على أنغام موسيقى ناعمة وبطيئة مثل موسيقى الدُمى الميكانيكية، يذهبن أمام بومبونينا ويحيينها باحترام، وبعد ذلك ينحنين أمام بجماليون ورفاقه. تتوقف الموسيقى وتبقى الوصيفات الأربع بلا حركة وصارمات قليلاً)

لوثيو: إنهن رائعات!

خابيير: مصنوعات بطريقة عجيبة!

أوليجاريو: مثل باقى الدُمى.

الدوق: لكن بعد كل ما رأيناه...

أوليجاريو: أمام بومبونينا لا يساوى شيئًا.

دونديني لا: **(ترفع رأسها وتخفضه بين نغمات موسيقية وتنظر إلى الدوق والمنتجين من أعلى إلى أسفل)** كان بمقدورهم أن يكونوا مغازلين للنساء أكثر من ذلك!

ماريلوندا: الرقة غالية جداً!

كورينا: غالية جداً!

لوثيندا: بما أننا دُمى يقولون لنا كل ما يروقهم.

بومبونينا: لا تهتموا بكلامهم، فهم يتكلمون فقط لكنهم لا يتفننون.

ماريلوندا: **(بغضب طفولى)** إنك تدهشينهم.

بومبونينا: أنا لا أدهشهم! يدهشون هم وحدهم يا بنيتى.

بجماليون: لن تناموا الآن مثلما حدث عندما كلمتكم أمس للمرة الأولى، أليس كذلك؟

أوليجاريو: ومن ينام عندما يرى مثل هذه الأشياء؟

لوثيو: يجب الاهتمام بدُمى بجماليون.

خابيير: يجب أن نزيد خدمة الحريق!

بومبونينا: آه، يا للفزع! أتمنى ألا تمرضوا حضراتكم!

الدوق: يا لها من جميلة! يا له من جمال دُمية!

بجماليون: حسنًا! كفى هذه الليلة! انتهى التقديم! الجميع إلى الداخل!

بومبونينا: انتهى؟ يا للإزعاج! إن كنا قد خرجنا لتونا!

بجماليون: لا تكونى فضولية. أطيعى واسكتى.

بومبونينا: **(تفتح عينيها وتغمضهما وتنظر إلى المرآة وتتخذ عدة أوضاع)** آى، من سيكون هذا الذى يسرقنى ويخلصنى من بجماليون!

الدوق: **(يذهب نحوها بسرعة)** أنا!

بجماليون: **(يوقفه)** اهدأ!

الدوق: دعنى حضرتك!

بجماليون: **(يضع يده اليمنى على صدر الدوق ويبعده بهدوء)** اهدأ، لقد قلت لسيادتك إنك ستكرهنى فور رؤية بومبونينا.
(يدير وجهه نحو الدُمى ويصيح بلهجة آمرة صارمة)
نصف لفة وإلى الداخل.

(تفزع بومبونينا والدُمى الأربع، يلففن حول أنفسهن ويدخلن بسرعة إلى صناديقهن ويغلقن الأبواب. تسمع عدة أصوات صادرة عن صندوق موسيقى وأجراس معدنية. يضغط بجماليون مرة أخرى على زر كل صندوق ويغلقه أيضًا بالمفتاح، ويضعه بعد ذلك فى حافظته. يلتفت إليه الدوق باهتمام شديد عندما كان يغلق الصندوق ولم يرفع عينيه عنه)

المشهد السادس

(بجماليون والدوق والمتجون الثلاثة وبعد ذلك الفرّاش)

الـــــدوق: من المستحيل أن تكون دُمية.

بجمـاليـون: إنها دُمية، دُمية فريدة.

أوليـجـاريو: قادرة على تشويش قديس.

(يمعن بجماليون فجأة فى النظر فى أحد الصناديق، يفحصه عن قرب ويختبر بعد ذلك بانتباه المفاتيح والأقفال)

لـوثيــــو: ماذا حدث؟

بجماليون: **(مدهوشًا قليلاً عند فحص الصندوق وتهرب منه الكلمات كمن يكلم نفسه)** شيء نادر.

الصندوق: **(يذهب نحو بجماليون بفضول عجيب)** هل كُسِر شيء؟

خابيير: **(ينظر إلى أوليجاريو قلقًا)** ماذا... ماذا حدث؟

بجماليون: **(يخرج قلمَ رصاصٍ ويخط به على وصلة بعض أبواب الصناديق)** لم يحدث أي شيء يا سادة، لا شيء يهم حضراتكم. سأغير غدًا الأقفال كلها.

الصندوق: لكن ماذا حدث؟

بجماليون: أشك في أن دُماى قد توصلت إلى طريقة لفتح صناديقها والخروج منها في الوقت الذي لا يراها فيه أحد.

خابيير: عجبًا!

بجماليون: يجب أن نحتاط مع دُماى.

الصندوق: إنهم الحياة بعينها.

بجماليون: قليل جدا ما رأيتموه حتى الآن. عندما ستشاهدونها غداً وهي تمثل مسرحياتي سترون الكمال والإتقان اللذين توصلت إليهما في صنع دُماى.

الفرّاش: **(يدخل من الجزء الأيسر إلى مقدمة خشبة المسرح حاملا قبعة في يده)** لقد وصل هنا المصورون الصحفيون وهم في غاية الدهشة بسبب عدم السماح لهم بالدخول لالتقاط

بعض الصور الفوتوغرافية، كما يبحث عن حضراتكم أيضا كثير من رجال الصحافة. أُحضر هذه البطاقات للسيد بجماليون.

بجماليون: **(يأخذ البطاقات ويقرؤها)** سأذهب، بعد إذن حضراتكم، وأعتذر لكل هؤلاء السادة وأشرح لهم سبب عدم التقاط صور فوتوغرافية حتى الغد.

لوثيو: سنذهب مع حضرتك.

خابيير: يجب أن نرضى كل هؤلاء الناس.

أوليجاريو: بالطبع. هل ستأتى معنا يا سيادة الدوق؟

الدوق: سأذهب فى الحال. سأنتظر حضراتكم فى الإدارة.

بجماليون: حسنًا. سأتحرر قريبًا من هذه الزيارات وسنذهب معًا لتناول مشروب البنش، وبعد ذلك سأذهب لأنام لأنى أعانى ألمًا عصبيًا.

الدوق: سننفذ كل ما يروق حضرتك.

بجماليون: **(يذهب نحو الجهة اليسرى من مقدمة خشبة المسرح)** إلى أن نلتقى إذن.

لوثيو: **(يتبعه)** هيا بنا جميعًا.

أوليجاريو: **(يمسك خابيير من ذراعه)** هيا.

(يخرج الثلاثة وراء بجماليون، يتبعهم الفراش الذى يعود إثر إشارة من الدوق)

المشهد السابع

(الدوق والفرّاش وحدهما)

الفــــرّاش: **(يقترب من الدوق)** هل السيد الدوق يناديني؟

الــــــدوق: **(بهدوء)** دع لمبة مضاءة في خشبة المسرح بعد أن ينصرف الجميع، وذلك عندما تطفئ حضرتك الأنوار.

الفــــرّاش: حسنًا.

الــــــدوق: لتبق الحراسة كالعادة، وبعد ساعتين انتظرني في الشارع بجانب الباب المؤدي إلى غرفة حفظ الملابس وانتبه جيداً. لا يجب أن يعرف أحد بهذا الموضوع ولا حتى الفئران. **(يضع بعض العملات في يد الفرّاش)** هل فهمتني؟

الفــــرّاش: تماماً يا سيدي.

الــــــدوق: إذن صه وانصرف.

(يخرج من حيث خرج بجماليون والمنتجون)

الفــــرّاش: **(يحييه)** اهدأ تماماً يا سيدي الدوق. **(يتوقف عدة لحظات ناظراً إلى الصناديق)** لعنة الله على من جعلني أحرس هذه الدُمى الميكانيكية! لولا أكل العيش ما كنت بقيت هنا هذه الليلة!

(يذهب. تبقى خشبة المسرح خالية. يقل فجأة الضوء ولا يتبقى سوى ضوء شاحب خفيف. يسدل الستار تدريجيًا)

الفصل الثانى

(تدور الأحداث بعد مرور ساعة واحدة. المشهد نفسه والظلال نفسها. تبرز الصناديق مع الستائر الغامقة كتوابيت فاتحة اللون مربعة الشكل. يمكن سماع ذبابة تطير فى الصمت الرهيب وتقطع الصدى الضعيف الصرير المعدنى. يُفتح باب خوان الأبله يطل برأسه وينظر إلى جميع الجهات):

المشهد الأول

(الدُمى فقط)

خــــــوان: (من صندوقه بعد أن راقب المشهد) كو، كو.

(يوارب الباب ويترك فتحة ضيقة لكى يراقب منها المشهد. يفتح صندوق مينجو ريبواجو وينظر منه أيضا مثل خوان، وعندما يتأكد من الوحدة المُطْلقة، يخرج بهدوء وبطء من صندوقه ويمشى على أطراف أصابعه مثل الإنسان. يتجه نحو صندوق بومبونينا، وعند وصوله أمام الصندوق،

يخرج من جيبه كيسًا كبيرًا وينظر إليه ويزنه بيده. يدق باب الصندوق بهدوء وهو يهز الكيس. يسمع صوت العملات ودقة جرس محكمة ودقيقة عند كل دقة على الباب)

مـــينجـــو ريبـولجو: **(يهز الكيس)** بومـبـونينا.. بومـبـونينا... لديّ عملات أكثر، هل تسمعين رنينها؟ عملات أكثر، وكل الماس والذهب الذى أعطاه لى أمس بجماليون لكى أحتفظ به! هل تسمعين؟ **(يهز الكيس مع كل مقطع ينطقه)** بوم... بوم... بومبونينا... تعالى... تعالى... تعالى. سأنتظرك فى صندوقى! ... تعالى... لا تتأخرى. تعالى!

(يهز الكيس للمرة الأخيرة ويعود إلى صندوقه ويدخل ويغلق الباب بهدوء. تفتح بومبونينا باب صندوقها ببطء وتنظر بصمت إلى كل المشهد. تخرج وتترك الباب مغلقًا، وتمشى بسرعة على أطراف أصابعها التى تنبعث منها موسيقى عندما تلمس الأرض. تصل إلى صندوق مينجو وتدق عليه بيد مروحتها)

بومـبـونينا: **(تدق على الباب)** أنا بومبونينا، افتح قبل أن يرونى.

(يُسمع صرير جاف. يفتح باب الصندوق قليلا، تظهر يد مينجو ويشد بومبونينا التى تدخل بسرعة فى الصندوق. يبرز فى الصمت اهتزازات مثل اهتزازات الساعة الزنبركية، لكنها تختفى عندما تدق الساعة. يُسمع بعد ذلك صرير جاف. صمت وهدوء من جديد على خشبة

المسـرح. يقـوم خـوان الأبله، الذى لا يزال يتـجـسس، بإخراج رأسه)

خــــوان: (ناظرًا إلى صندوق ريبولجو، يخفض رأسه ويرفعه ويطلق إشارات معبرة)

(يعود ويختبئ وراء الباب ويترك الفتحة نفسها لكى ينظر منها. يخرج بريكيتو من صندوقه ويتجه ببطء نحو صندوق كورينا)

بريكيـتـو: (يقرع الباب بالعصا) كورينا... كورينا... افتحى، فأنا بريكو، بريكيتو، بريكيّو.

كــورينا: (تخـرج رأسهـا فقط مـن الباب. يتوقف صوت الجرس) لا يروقنى استقبال أحد هذه الليلة لأنى مجهدة جداً.

بريكيـتـو: لكن يا جميلتى كورينا...

كــورينا: أنا مجهدة من السفر. تؤلمنى كل سوست جسدى وأوتاره.

بريكيـتـو: اسمحى لى بلحظات لأنى أريد أن أقول لك شيئًا.

كــورينا: (بدلال وحسم) لا، لا يا بريكيتو. الآن لا، لا ولا.

(تغلق الباب بسرعة. دوى خفيف ومطول)

بريكيـتـو: يا لها من متكلفة! يا لدلالها! إنها متقلبة الأطوار دائمًا.

(يذهب إلى الصندوق الجانبى ويدق على بابه) دونديـنيـلا، دونديـنيلا.

دونديـنيـلا: (تخرج أنفها من وراء الباب المفتوح قليلا) دعنى وشأنى.

بريكيـتـو: لكن...

دونديني‍‍‍ـــلا: لا تكن مزعجًا. لدىَّ موعد مع العم باكو.

بريكيـــتـــو: مع العم باكو! ... لكن يا امرأة!...

دونديني‍‍‍ـــلا: سأقول لك السبب فيما بعد...

بريكيـــتـــو: لكن يا فـتـــاة! ... مع هـذا الرجـل الطاعن فى السن، العـادى جدًا!

دونديني‍‍‍ـــلا: لا تتدخل فى ذلك.

بريكيـــتـــو: سأتدخل، سأتدخل. اسمعى...

دونديني‍‍‍ـــلا: لن أستمع إليك. سنتكلم فيما بعد. إلى اللقاء.

(تغلق الباب فى وجهه ويُسمع صوت معدنى)

بريكيـــتـــو: متقلبات الأطوار وقليلات الحياء! ويا لتساهلهن! من أجل التعايش، يصبرن على كل شىء.

(يعود من حيث أتى، يمر أمام صندوق بومبونينا ويدق على صندوق لوثيندا)

لـوثـيـنـدا: **(تفتح الباب قليلاً وتهتـاج عنـدما تـرى بريكيتـو)** أنت، أنت، أنت!

بريكيـــتـــو: ماذا ألمَّ بك، ماذا حدث؟

لـوثـيـنـدا: وتتجـرأ وتأتى هنا بعـد مـا فـعلتـه مـعى فى القطار... انصرف، انصرف يا قليل الأدب، يا خليع، يا تافه!...

(يغلق الباب مرة أخرى وضوضاء شديدة للسوست من كثرة الرج)

بريكيتو: حسنًا، حسنًا! كيف يكن هؤلاء الطفلات! كما لو كانت كل واحدة منهن أخبرت الأخرى بما حدث منى!

(يدق على صندوق ماريلوندا)

ماريلوندا: **(تفتح الباب قليلا)** أهلا يا بريكو!

بريكيتو: أهلا يا جميلتى! أريد أن أتكلم معك.

ماريلوندا: أريد أن أنام. دع هذا لليلة أخرى.

بريكيتو: أريد أن أقول لك...

ماريلوندا: لا تقل لى شيئًا...

بريكيتو: ستندمين لأننى كنت سأحكى لك ما حدث للوثيندا.

ماريلوندا: **(مهتمة جداً، تخرج نصف جسمها خارج الصندوق)** ما حدث للوثيندا؟

بريكيتو: أجل.

ماريلوندا: أخيرا يا رجل!

بريكيتو: بما أننى لطيف دائما كما ترين...

ماريلوندا: لكن، هل ستحكى لى فعلا؟

بريكيتو: كل شىء!

ماريلوندا: ادخل إذن.

(يدخل بريكيتو بسرعة ويغلق الباب)

خوان: **(يُخرج رأسه مرة أخرى)** كو، كو، كو، كو.

(يدفع دون ليندو باب صندوقه ويختفى الأبله فى الحال دون أن يكف عن رؤية ما يحدث فى المشهد)

لــيــنــدو: **(خرج من صندوقه، يفرك عينيه ويتمطى)** أخيراً جاءت المرة التى أصبح فيها صرير ذلك الأبله مفيداً! حسناً ما فعل عندما جعلنى أستيقظ الآن. يا لها من طريقة فى النوم... تبدو مستحيلة لعاشق مثلى... ذلك البجماليون البغيض! يا لها من طريقة ناقصة وفظة لصنعنا! صحيح أننى لم أنم عدة ليالٍ، أعبد بومبونينا!... بومبونينا! ما قيمة عالم الدُمى من أمثالى وحياتها إذا لم تكن هى فوق ظهر البسيطة؟ **(يذهب إلى صندوق بومبونينا ويدق برقة على الباب بقطعة خشب صغيرة)** بومبونينا... بومبونينا يا شمس ليالىَّ وحياتى، افتحى لحبيبك ليندو... **(ينتظر دون جدوى أن تفتح له الباب)** افتحى... أرجوك يا بومبونينا! **(فترة انتظار أخرى لكن دون جدوى)** أعلم سبب عدم فتحك الباب لى. تريدين أن أقول لك قصائد غرامية. أعلم مدى حبك للعزف والغناء ليلاً. **(يذهب إلى صندوقه ويأخذ عوداً ويعود إلى صندوق بومبونينا ويغنى وهو يقرب فمه من باب الصندوق)**

نجمة حبى

وحوريتى ...

خــــوان: **(يفتح باب صندوقه ويقول بلهجة ساخرة)** كو، كو...

لــيــنــدو: **(يقطع الغناء فجأة وينظر غاضباً إلى صندوق خوان الأبله)** مغفل!

خـــــــوان: (يخـرج مـسـرعًـا من صندوقـه ويصل حـتى دون ليندو، وبطريقته البلهاء الخبيثة يضع يديه فوق رأسه أمام ليندو ويقلد بالسبابة القرون) كو، كو.

لـــيـــنــــدو: (يمسك العود ويهدده به) يا لك من غبى وقبيح! انصرف من هنا وإلا...

خـــــــوان: (يتـفـادى الضـربة، يجرى إلى صندوق مـينجـو ريبـواجـو ويطلق إشـارة يفـهم منهـا أن بومـبـونينا بداخله) كو، كـو.

(يطلق مـرة أخـرى إشـارة أمــام دون ليندو تدل على أنه ديوث) كو، كو.

لـــيـــنــــدو: (يتملكه الغيظ، بكل الألم العميق الذى يمكن أن يعبر عنه وصيف ودمية) هل هذا صحيح؟ ... هل صـحـيح ما يريد أن يقـوله لى خـوان الأبله؟ (يقـترب من صندوق حـبـيـبـتـه) بومـبـونينا!... بومـبـونينا! (يلقى العود، يخرج قطعة حديد صـغـيـرة من جيبه ويضـعـها فى القفل، يضـغط على الزر ويفـتح البـاب، ويصـاب بخـيبة أمل عندمـا يجد الصندوق خاويًا) إنها ليست هنا!

خـــــــوان: (بجانب صندوق ريبواجو) كو، كو.

لـــيـــنــــدو: (يضع يده اليمنى على قـبـضـة السـيف، ويذهب غـاضـبًـا تجاه الأبله) غبى!

(يجـرى خـوان إلى صندوقـه ويدخل إليـه مـسـرعًـا ويغلق الباب كله تقريبًا)

لـــيـــنـــدو: **(يصل إلى صندوق خوان)** أحمق!

خـــــــــوان: **(داخل صندوقه، يضع فمه على فتحة الباب)** كو، كو.

(يغلق الباب تمامًا. يسمع صرير القفل)

لـــيـــنـــدو: **(يمسك بقبضة السيف أمام صندوق خوان الأبله)** أبله! سأقضي على حياتك كدُمية يا سريع التعجب! ليصنع بجماليون دُمية غيرك! **(يذهب أمام صندوق مينجو ريبولجو)** بومبونينا! أنت هنا، أعرف ذلك! هناك دائما أبله أحمق لكى يذيع هذه الأخبار الرهيبة. اخرجى، أستحلفك بحياتك وبحياتى! **(يدق الباب وهو ملىء بالغضب والألم)** بومبونينا!... تخدعى وصيفك! ومع مينجو ريبولجو! هذا الدُمية الأكرش، المشحم، القصير، السمين جدا والمضحك! وكل هذا لأن معه بعض العملات والأحجار الكريمة! **(يلقى بالسيف)** افتحى يا بومبونينا، افتحى! أعانى بطريقة شنيعة يا بومبونينا!

(يبكى، يغطى وجهه بيديه. يخرج فى هذه اللحظة لوكاس جوميث من صندوقه دون أن يراه دون ليندو ويمشى مختلا إلى منتصف خشبة المسرح ويجلس. يخرج غليونًا وعلبة صغيرة يأخذ منها تبغًا ويضعه فى الغليون بطريقة غير بارعة. يأخذ من الأرض ما وقع من التبغ)

لوكـــــــاس: **(يغنى وهو يتأمل الغليون ويضغط على التبغ بإصبعه)**
اذهب إلى حيث تعوى الذئاب يا سيد أمبروسيو،
اذهب إلى حيث تعوى الذئاب يا سيادة القائد،
اذهب إلى حيث تعوى الذئاب يا سيد برناردو،
واذهب إلى حيث تعوى الذئاب يا سيد جالان.

لـــيــنـــدو: **(أصابته رعشة، وكان مدهوشًا ومجروحًا من غناء لوكاس جوميث)** ماذا تفعل هنا؟

لوكـــــــاس: أدخن، كما ترى.

لـــيــنـــدو: سأخبر بجماليون بما فعلته.

لوكـــــــاس: وأنا سأضربك فى ماكينة رأسك.

لـــيــنـــدو: يا لك من أبله وتأتى فى أوقات غير مناسبة دائمًا!

لوكـــــــاس: اذهب واعزف القيثارة أمام بوميونينا ولا تكن كآلات النفخ.

لـــيــنـــدو: الذنب ذنب أورديمالاس الذى علمك تدخين الغليون.

لوكـــــــاس: هيا! لقد سرق هذا الغليون وهذه العلبة عندما نسيهما عامل المؤثرات الصوتية على خشبة المسرح ونحن فى فيلادلفيا.

لـــيــنـــدو: اسكت وانصرف.

لوكـــــــاس: بما أنك أنت الذى يأمر! تجعلنى أضحك دون أن أريد! **(يفتش فى جيوبه كلها)** إلى اللقاء! ليست معى علبة كبريت! هيا وابحث لى عن علبة كبريت يا سيد ليندو. مؤكد أن أورديمالاس معه، اطلبها منه...

لـــيــنـــدو: **(يرفع السيف)** سأوجه إليك ضربة قوية بهذا السيف.

لوكـــــاس: أخاف على سيفك مثلما أخاف على سيف برناردو.

لـــيـــنـــدو: **(يقترب منه)** اذهب وإلا ضربتك، اذهب!

لوكـــــاس: لا يروقني.

لـــيـــنـــدو: أريد أن أتكلم مع بومبونينا في عدم وجود أحد.

لوكـــــاس: وأنا أريد أن أدخن الغليون بمزاجي.

لـــيـــنـــدو: **(يقرب طرف السيف من وجهه)** اخرج من هنا وإلا سأضربك!

لوكـــــاس: **(ينهض من الأرض ويتفادى طرف السيف)** سأبارزك وسأهزمك. لا تنسَ أن اسمي لوكاس جوميث، وأنني أتلف الأشياء بسهولة شديدة.

لـــيـــنـــدو: إنك تهرب منها!

لوكـــــاس: من سيهرب منها سيكون أنت. لقد قال لي أورديمالاس إنك أنت الوحيد فينا الذي يحمل شعراً مستعاراً قصاً ولزقاً.

(يقفز قفزة سريعة متجنباً السيف، ويشد دون ليندو من شعره المستعار فيخرج في يديه. يلقي الوصيف، المدهوش من القفزة السريعة والمناورة، يلقي السيف ويضع كلتا يديه على رأسه المحلوق تماماً والأملس مثل كرة البلياردو)

لـــيـــنـــدو: ماذا فعلت؟

لوكـــــاس: **(يلوح بالشعر المستعار في الهواء)** لكي أتركك وأنت على وشك استرداد بومبونينا! **(يجري نحو صندوقه ويصيح)** بومبونينا... بومبونينا!...

(يدخل في الصندوق ويغلق الباب)

لـــيـــنـــدو: **(يأخذ سيفه ويتجه غاضبًا نحو صندوق لوكاس جوميث)** سـأخرق لك عينك الأخرى أيها الأعور المضحك الدنيء! **(يضرب الصندوق بيد السيف)** افتح أيها الجبان، افتح!

خـــــــوان: **(يطل برأسه لعدة لحظات من باب صندوقه، يضحك وهو ينظر إلى الوصيف، يسخر منه بالإشارة)** كو، كو.

لـــيـــنـــدو: **(يتجه كالمجنون إلى صندوق الأبله)** أنت مرة أخرى أيها الساذج!

لوكـــــاس: **(يفتح باب صندوقه قليلا، يخرج الشعر المستعار ويلوح به عاليًا كما لو كان تذكار نصر)** بومبونينا، بومبونينا! ... اخرجي وانظري!

(يعود ليندو غاضبًا إلى صندوق لوكاس جوميث الذي يغلق الباب في وجهه)

لـــيـــنـــدو: **(يضرب الباب ويدق عليه بالسيف دقًا شديدًا)** سأسحقك!

العم باكـــو: **(يخرج من صندوقه دون أن يغلق الباب ويذهب إلى صندوق دوندينيلا. يتوقف عندما يرى دون ليندو)** اهدأ يا رجل! لا تبالغ! فالأمر لا يستحق كل هذا! **(يدهش عندما يرى جمجمة الوصيف اللامعة على حالتها الطبيعية)** اسكت! أنت هكذا! هأ، هأ، هأ، هأ، هأ!

لـــيـــنـــدو: وأنت أيضًا.

العم باكـــو: **(حصيفًا وناعمًا عندما يرى شفرة السيف عارية)** معذرة يا دون ليندو، معذرة... الأمر أن... **(يضحك ثانية**

دون أن يتماسك) هأ، هأ، هأ! يشبه ذلك الدُّمية الصينى الذى صنعه بجماليون لـ...

لـيـنـدو: **(يقاطعه ويضرب الأرض برجليه ضربة شديدة. تحدث أوتاره وسوسته صوتًا)** كفى!

العم باكـو: لكن ما هذا؟ وشعرك؟

دوندينيـلا: **(تخرج رأسها من باب الصندوق قليلاً)** أنت ... بس! ... بس!... عم باكو! ... عم باكو!...

العم باكـو: قادم، قادم. **(يتجه نحو صندوق دوندينيلا دون أن يكف عن النظر إلى دون ليندو)** يا له من منظر!

دوندينيـلا: ماذا يضحكك؟ كنت تصر على أن تتكلم معى وأنتظرك منذ ساعة! **(تمعن فى النظر إلى الوصيف)** عجبًا! دون ليندو أصلع! **(تطلق قهقهة شديدة)** هأ، هأ، هأ! آه عندما تراك بومبونيتا! هأ، هأ، هأ!

لـيـنـدو: هذا ما كان ينقصنى!

العم باكـو: **(إلى دوندينيلا)** اسكتى يا جميلتى، اسكتى... لا تضحكى بصوتٍ عالٍ...

لـيـنـدو: امرأة متسكعة!

العم باكـو: هدوءًا، وبدون تجاوزات! هيا يا صغيرتى، دعينى أدخل ولا تضحكى أكثر، فلن ينتهى غيظ الغندور.

(يدفع دوندينيلا، يدخل الصندوق ويغلق الباب. ضوضاء موسيقى. تسمع قهقهات الاثنين داخل الصندوق)

ليـــنـــدو: لقد أصبحت أضحوكة، وبومبونينا مع مينجو، ربما تسمح له بدون اشمئزاز أن يداعب يديها البضتين الجميلتين! شيء فظيع... فظيع! سيقتلني الغضب والألم إذ لم أنادها، إذا لم أذهب إليها وأحطم صندوق مينجو، إذا لم تخرج بومبونينا. وستقتلني السخرية في حال خروجها! يجب أن أكون مرعبًا! لعنة الله على لوكاس جوميث، وعلى بجماليون الذي أعطاه الحياة وجعلني قابلاً للانجراح والعطب! هكذا يكون الغيظ!... أن تكون دُمية، لكي يسطع إذا لزم الأمر الشعر المستعار الجميل، وأن تكرر طوال حياتك كلمات إنسان آخر في المسرحيات، وأن تعتمد دائما على سيد كريه! أوه، غيظ، غيظ!... وأورديمالاس المؤذي هو السبب في كل شيء عندما قال للوكاس جوميث القبيح إن شعري مستعار!... الثأر، الثأر! سأبدأ بتصفية حساباتي مع أورديمالاس!

(يذهب إلى صندوق أورديمالاس، ينادي ويضرب الباب برجله)

أورديمالاس: **(يطل برأسه من وراء باب صندوقه)** مَن؟ آه، أنت! لكن كيف تركوا رأسك! ما هذا؟

ليـــنـــدو: اخرج لحظة وسأحكي لك ما حدث.

أورديمالاس: بكل سرور. **(يخرج من الصندوق)** هيا، احكِ لي... لكن يا لهيئتك المضحكة! يجب ألا يراك أحد وأنت على هذه الحال!

ليندو: **(يمسك أوريمالاس من سترته بيده اليسرى ويمسك السيف بيده اليمنى)** هل أنت الذى قلت لذلك الحقير لوكاس جوميث إن شعرى المستعار قص ولزق؟

أوريمالاس: **(ببرودة ومكر وبلهجة طبيعية جداً ولطيفة)** أنا؟ لم أقل له شيئاً.

ليندو: لكنه قال لى إنك أنت الذى أخبرته بذلك.

أوريمالاس: لقد سخر منك مرتين إذن.

ليندو: إذن، من يكون هذا الذى أخبره بذلك؟ إنك أنت الوحيد الذى عرفت ذلك عن طريق المصادفة..

أوريمالاس: لقد علم أمس بيروجرويو مصادفة مثلى وأخبر بريكيتو الذى حكى هو بدوره للوكاس جوميث.

ليندو: كيف يمكن أن تثبت لى...؟

أوريمالاس: أعيد إليك الشعر المستعار فى الحال...

ليندو: أريد قبل هذا أن يقع لوكاس جوميث تحت يدى.

أوريمالاس: سيقع! ثق بمكرى! أنا لا أستريح لذلك الأعور القذر كثيراً. **(يقفز)** هل تسمعنى؟ اذهب حتى لا يراك أحد وأنت على هذه الحال!

ليندو: ماذا؟

أوريمالاس: هناك ضوضاء فى صندوق مينجو ريبولجو.

ليندو: فى صندوق مينجو! يا للهول! سأجرى إلى هناك! بومبونينا هناك! آه لو كانت تخرج وترانى...!

أوريمالاس: **(يتظاهر بدهشة كبيرة ويذعر)** بومبونينا! مسكين يا دون ليندو!

ليندو: **(يهرول نحو صندوقه)** إنك لا تفهم الموضوع جيداً!

(يدخل بسرعة. يغمد السيف ويغلق الباب. تخرج بومبونينا من صندوق مينجو حاملة حقيبة صغيرة فى يدها اليمنى وعقداً من الذهب فى اليد اليسرى)

أوريمالاس: كيف حالك يا بومبونينا؟

بومبونينا: على ما يرام يا بدرو. هل يعجبك؟ **(تُقدم له العقد)** إنه هدية من مينجو.

أوريمالاس: جميل جداً، جميل جداً.

بومبونينا: سيلمع كثيراً، أليس كذلك؟

أوريمالاس: **(يبتسم)** بلا شك.

بومبونينا: لماذا تبتسم؟

أوريمالاس: لا شيء. إنها عادة.

بومبونينا: هل تعتقد أننا نستطيع الهروب من هنا؟

أوريمالاس: لست أدرى. من الضرورى أن نفحص المكان جيداً حتى نجد المخرج الآمن.

بومبونينا: منذ ستة أشهر ونحن نتوق إلى الانفصال عن بجماليون، ولم تسنح لنا الفرصة فى أى مسرح من المسارح التى ذهبنا إليها.

أوريمالاس: مسألة صبر. سيكون أسوأ لنا أن نهرب ويلقوا القبض علينا فى الحال. إن بجماليون رجل ذكى جداً.

بومبونينا: لكنك أذكى منه.

أورديمالاس: هذا لطف منك. سأذهب لفحص هذا المسرح. وأنت إلى أين تذهبين الآن؟

بومبونينا: لكى أترك هذا فى صندوقى، ولكى أُرضى دون ليندو الذى ضايقنى منذ قليل.

أورديمالاس: آه، فعلا، لقد رأيته! إنه حزين وغيور جداً، المسكين.

بومبونينا: سأهدئ من روعه حالاً بقليل من المجاملة.

أورديمالاس: لا شك فى هذا. أنت تمتلكينه هنا **(يرفع السبابة ويحركها)** إنه تحت أمرك دائماً.

بومبونينا: مسكين! إننى أحبه كثيراً! سيبلغ الغاية فى الظُرف لو لم يكن غيوراً بهذه الصورة.

أورديمالاس: فعلاً، فعلاً، إنه غيور بطريقة زائدة عن الحد. يغضب وينزعج من أى شيء.

بومبونينا: إنه رومانسى.

أورديمالاس: فعلاً، إنه رومانسى. اسمعى.

بومبونينا: ماذا؟

أورديمالاس: قبل أن ترى وصيفك اطلبى من لوكاس جوميث أن يخبرك بشيء.

بومبونينا: لا! إنه ثقيل الدم وتنبعث منه دائما رائحة التبغ.

أورديمالاس: إنها لحظة لا أكثر. لن تندمى. سيعطيك باروكة وصيفك ليندو.

بومبونينا: **(مذعورة)** كيف؟ هل فعلوا شيئًا بوصيفى؟

أورديمــالاس: لا. إنها دُعابة خفيفة.

بومــبــونينا: كيف؟ ومن ذا الذى فعل معه هذا؟

أورديمــالاس: حظه العاثر. إنه تعيس جداً.

بومــبــونينا: آه، لا، إنه جميل جداً!

أورديمــالاس: لهذا السبب. لا يمكن أن يكون حسنًا مع أنه جميل جداً.

(تسمع ضوضاء)

بومــبــونينا: **(مرتعبة)** أشخاص!

أورديمــالاس: أجل. أستحلفك بـ...! يجب أن تذهبى من هنا.

بومــبــونينا: وبسرعة

(تذهب مسرعة. تضع الكيس والعقد فى صدرها وتدخل الصندوق وتغلق البـاب. صـوت جـرس ضـعـيف. يبـقى أورديمالاس عدة لحظات لكى يسمع ما يحدث)

أورديمــالاس: من الأفضل الذهاب. **(يذهب إلى صندوقه ويلاحظ فجأة أن صندوق العـم باكو مفتوح وخاوٍ)** عجبًا! لقـد خـرج العـم باكـو من صندوقـه ونسـى أن يغلق البـاب. يا له من كسـول مقدام! يعرضنا جميعًا للخطر! **(يغلق الصندوق باهتمام شديد لكى لا يحدث صوتًا. يذهب إلى صندوقه ناظرًا بحذر حوله)** بومبـونينا... كل يوم تزداد جمـالاً. شىء مخجل لى أنه حتى الآن لم...

(يدخل صندوقه ويغلق الباب بسرعة)

المشهد الثانى

(الدوق ومعه الفرّاش، يحمل فى يده كشافًا. ظهرا من حيث انصرفا، أى من عند يسار مقدمة خشبة المسرح)

الدوق: أخيرًا! اعتقدت أن هذه اللحظة لن تأتى أبدًا!

الفرّاش: **(ينظر بحذر إلى كل الجوانب، ترتعد يداه وساقاه قليلاً)** وما الطريقة التى ستفتح بها الصندوق يا سيدى الدوق؟

الدوق: ها هى هنا محفظة بجماليون **(يُريها له)** وبها المفتاح. **(يخرج المفتاح الصغير)** خذ المحفظة.

الفرّاش: **(يأخذها مذهولا)** وماذا أفعل بها يا سيادة الدوق؟

الدوق: تعيدها سليمة إلى بجماليون وتخبره أنه بأمر منى سرقها لص مشهور هذه الليلة، وهو يرد لى الجميل لأنى دافعت عنه وبرأت ساحته منذ عدة سنوات. لقد أرسلت إليه رسالة عند خروجه من هنا.

الفرّاش: **(يضع المحفظة فى جيبه الداخلى)** أول شىء سأفعله صباح الغد هو تسليمها إلى بجماليون مثلما سلمها إلىّ سيادة الدوق... والآن؟

الدوق: **(يذهب إلى صندوق بومبونينا)** والآن سأحمل هذه الدُمية الرائعة.

الفــــرّاش: **(تصطك أسنانه ويرقص الكشاف الذى ينير الأرض فى يده من الرعشة)** كثيراً مـن الحــذر يا سيـادة الدوق!...
لا أخفى على سيادتك أننى خائف جداً.

الـــــدوق: تخاف من دُمية!

الفــــرّاش: أظن أن سيادتك سمعت أن الدُمى تفتح الأبواب وتتكلم وتغنى.

الـــــدوق: حضرتك رجل شجاع.

الفــــرّاش: **(مرعوبًا)** مع أشخاص أحياء كل ما يريده السيد الدوق، لكن مع أموات وأشياء سحرية وميكانيكية... لا أستطيع...

الـــــدوق: فلتنصرف إذن، انصرف.

الفــــرّاش: بعد إذن سيادة الدوق... سأترك لسيادتك الكشاف هنا.
(يضع الكشاف على الأرض ويخرج من حيث دخل وهو فى قمة الخوف)

الـــــدوق: أفضل أنه انصـرف. **(يصل إلى صندوق بومبونينا)** أخيراً سأستطيع أن أتأكد إن كانت امرأة أو دُمية، خيالاً أو واقعًا. يجب أن آخذها! **(يقترب أكثر من الصندوق)** لم يخترع سحر مثل بومبونينا الجميلة فى أى ركن فى العالم، ولا فى قاع البحار، ولا فى القصور التى شيدها الرجال. **(يضع المفتاح فى قفل باب الصندوق)** يبدو أنها ستحطم قلبى! **(يترك المفتاح لكى يضع يديه على صدره)** تغرقنى العاطفة! أحتاج إلى شجاعة! سأراها أنا وحدى! **(يلف المفتاح ويفحص حواف الصندوق)** لقد وجدته! هذا هو الزر الذى يفتح **(يضغط عليه)** فلنجرب.
(يفتح الصندوق فجأة وتُرى بومبونينا بداخله)

المشهد الثالث

(الدوق وبومبونينا)

الـــــدوق: إنهـا هـى! يا لجـمـالها! **(يناديها بصـوت منخـفض)** بومبونينا... بومبونينا...ألا تجيبيننى! **(يأخـذ الكشـاف مـن الأرض ويضىء الصـندوق)** سيدتى... سيدتى الدُمية أو ما تكونين... ألا تريدين أن تخرجى؟

بومـبـونينا: **(تخرج من صندوقها ولا يزال فى يدها العقد الذى أهداها إياه مينجو)** وبجماليون؟

الـــــدوق: ليبلبل أفكاره الشيطان! جئت وحدى.

بومـبـونينا: ومن أنت؟

الـــــدوق: دوق الدوركارا.

بومـبـونينا: وكيف يمكن أن تكون هنا وحدك؟ إنها المرة الأولى التى أرى فيها أناساً بدون حضور بجماليون.

الـــــدوق: لا تكلمينى ثانية عن بجماليون لأنى أكرهه.

بومـبـونينا: وأنا أيضًا! وكل الدُمى! ووصيفى دون ليندو يكرهه أكثر من الجميع.

الـــــدوق: لكن حضرتك أو أنت، أو كما تحبين حضرتك... من أنت أيتها الجميلة جداً؟

بومـبـونينا: بومبونينا يا رجل. ألم تقرأ ذلك على صندوقى؟

الـــــدوق: لكن من أنت؟ امرأة أم دُمية، حلم أم خيال أم ماذا؟

بومـبـونينا: أنا بومبونينا.

الـــــدوق: أنا أحبك كثيراً.

بومـبـونينا: مثلما يقول لى بجماليون ووصيفى.

الـــــدوق: لا تكلمينى عن أحد! إن ما يهمنى هو أنت!

بومـبـونينا: الكلام نفسه، الكلام نفسه الذى يقوله لى دون ليندو...

الـــــدوق: دون ليندو الوصيف الملعون!

بومـبـونينا: لا! دعه وشأنه! لقد نزعوا باروكته الآن! سأضحك كثيراً عند رؤيته. لنر إن كان هذا سيؤدى إلى ضياع الحب الذى أكنه له أو لا.

الـــــدوق: حُب؟ أنت بجمالك الفتان هذا تحبين ذلك الدُمية؟

بومـبـونينا: بالطبع أحبه.

الـــــدوق: تحبين دُمية!

بومـبـونينا: وماذا أكون أنا؟

الـــــدوق: سأسحق ذلك الدُمية إذن.

بومـبـونينا: لا، إنه مسكين!

الـــــدوق: أريدك لى وحدى. جئت لأسرقك.

بومـبـونينا: آه، يا للخوف!

الـــــدوق: لا تخافى. أنا أحبك بكل جوارحى.

بومـبـونينا: كلام. أتمنى أن يأخذونى من هنا.

السـوق: عندى ملايين كثيرة، وقصور كثيرة، وأحصنة كثيرة، وسيارات وجواهر كثيرة.

بومبونينا: جميلة جداً مثل هذا.

(تريه العقد الألماس)

السـوق: لنر، أعطنى إياه.

بومبونينا: **(تشد العقد)** لا تأخذه.

السـوق: بومبونينا! ممن أخذته؟

بومبونينا: من رجل. حسناً، انظر إليه، لكنى لن أعطيه لك.

السـوق: **(يفحص العقد)** إنه خرز زجاجى.

بومبونينا: لا ، إنه من الألماس.

السـوق: زجاج، ومن النوع المتوسط.

بومبونينا: **(خائبة الآمال)** وهذا قيمته قليلة، أليس كذلك؟

السـوق: لا يساوى شيئاً.

بومبونينا: اللعنة على مينجو! سترى ماذا سأفعل.

(تذهب غاضبة إلى صندوق مينجو)

السـوق: **(يوقفها)** دعيه، أستحلفك بالله! بماذا يهمك الآن؟ سأشترى لك أفضل الأحجار الكريمة التى على ظهر الأرض، سأجعلك تصنعين عربات الذهب والفضة، وسيارات كهربائية لا تحدث صوتاً، بها غرف من الأبنوس ونقوش وردية، وسيكون لك ألف خادم، وستكونين حرة وملكة فى هذا العالم.

بومبونينا: (تصفق) آى، يا له من شىء حسن، آى، يا له من شىء حسن! هل كل ما تقوله يمكن أن يصبح حقيقة؟

الدوق: ستكون كل ثروتي ملك لك بعد عدة ساعات.

بومبونينا: خذنى إذن.

الدوق: تعالى! **(يأخذها من يدها وهو فى قمة العاطفة)** تعالى!

بومبونينا: وهل تسمح بأن يأتى معي وصيفى ليندو؟

الدوق: **(بغضب مفاجئ)** لا، لا يمكن تحت أى ظرف! هل أنت مجنونة؟ أريدك لى وحدى، وحدى...

بومبونينا: وعندما أسأم منك؟

الدوق: سأنتحر.

بومبونينا: هكذا أفضل، لكن لن تؤذينى، أليس كذلك؟ لدىَّ مجموعة آلات رقيقة جداً.

الدوق: بومبونينا! يا لبياض قلبك! انظرى وراء هذه الستائر **(يشير إلى العمق)** هناك نافذة منخفضة جداً تطل على الشارع. سنقفز منها لكى لا يرانا عمال بجماليون الذين ينامون هنا فى الممرات.

بومبونينا: آه، أجل، توماس وماوريثيو! إنهما سكيران.

الدوق: تعالى، تعالى. **(يترك يد الدُمية ويشد الستارة الموجودة بين صندوقى بومبونينا وكورينا. تُرى نافذة مرتفعة)** هيا، تعالى.

بومبونينا: ها أنا قادمة، قادمة... لكن لا تخدعنى. أنت تعرف أننى سأذهب معك من أجل الأشياء التى وعدتنى بها. القصور والمجوهرات والعربات الفضية والسيارات الوردية.

الدوق: سأشترى لك العالم بما فيه. تعالى، تعالى.

بومبونينا: سآتى معك، ويا للغضب الذى سينتاب بجماليون. **(تصفق)** يسعدنى هذا! فليغضب! فليغضب! فهكذا لن يعاقبنى مرة أخرى ولا يحضر لى الزهور. **(تقترب من الدوق الذى يفتح النافذة ويقفز. يفتح الأبله باب الصندوق قليلا دون أن يراه أحد)**

الدوق: **(يمد يده لبومبونينا من وراء النافذة)** تعالى يا روحى، تعالى.

بومبونينا: **(تمسك بيد الدوق)** نافذة منخفضة، أليس كذلك؟

الدوق: سترين ذلك.

(تقفز بومبونينا أيضا مستندة إلى الدوق. تعود وهى فى الشارع وتنظر إلى صناديق الدُمى من النافذة)

الدوق: هيا يا حبى، هيا بنا.

بومبونينا: **(وراء النافذة، يُرى وجهها فقط، وكذلك وجه الدوق)** لقد أصبحت حرة! آه، كيف ستكون حال بعض الدُمى عندما تعرف أننى هربت! **(تودع بيدها كطفلة)** إلى اللقاء، إلى اللقاء، إلى اللقاء جميعًا!

(يمسكها الدوق برقة من ذراعها. يُسمع صوت بوق سيارة جاف ومفاجئ وارتجاج المركبة. لا يُسمع شىء بعد ذلك)

خـــــــوان: (يُخرج رأسه، يُلاحظ الفزع على وجهه، وبنغمة بها رعب وإنذار بخطر) كـو، كـو، كـو، كـو، كـو، كـو. (يخـرج من صندوقه، يراقب وينصت باهتمام ويصيح مرة أخرى) كو، كو، كو، كو، كو، كو، كو....

المشـهـد الرابع

(كل الدُمـى. تُسـمع أصـوات نتـيـجـة الحـركـة. تطل دونـدينيـلا من صندوقـهـا هى والعم باكو ومن صندوق مـاريلوندا هـى وبريكيتو. يطل أيضًا بقية الدُمى وينظرون إلى كل الجوانب ويخرجون ببطء)

خـــــــوان: **(يواجه الدُمى، يشير لهم أولا إلى صندوق بومبونينا المفتوح الخـاوى، وبعـد ذلك إلى النافـذة. يعـبـر لهم بالإشـارة عن الهروب ويعود ويصرخ بنغمة باكية)** كو، كو، كو، كو، كو، كو.

لـــيـــنـــدو: **(بخيبة أمل)** لقد هربت بومبونينا.

(يلتفت الجميع إلى دون ليندو ويقهقهون)

الجـــمـــيـع: هـأ، هـأ، هـأ.

لـــيـــنـــدو: **(يغطى رأسـه بيديه)** أستـحلفـكم بـ...! لقـد جـعلتنى هـذه المصيـبة أنسى شـعـرى المسـتـعـار... إنه ليـس وقـت الضحك.

مـــاريلوندا: حلقوا له، هـأ، هـأ، هـأ.

لــيـــنـــدو: **(غاضبًا، إلى ماريلوندا)** حرى بك أن تصلحى شعرك الشعث أيتها الماكرة بدلاً من الضحك.

مـــاريلوندا: **(إلى بريكيتو وهى تصلح شعر جبهتها)** هل ترى؟ لأنه لا يجيد الكلام فلا يبقى فى صندوقى! أبذل قصارى جهدى دائمًا من أجلك!

لـوثـيـنـدا: **(تشير إلى الوصيف بإصبعها)** يا له من منظر!

كــــورينـا: يا للهيئة!

دونديـنيــــلا: **(تشير إليه أيضًا وتغنى ساخرة)** محلوق الرأس!

الجـــمــــيع: **(معًا)** محلوق الرأس، محلوق الرأس، محلوق الرأس! **(يضحكون)**

لــيـــنـــدو: أغبياء! ما يهمنى الآن هى بومبونينا، وسأكون عبرة بعد ذلك.

لوكــــــاس: **(يرفع الباروكة ويهزها فى الهواء)** لا يا رجل، لا! خذ هذه! حيث إن بومبونينا ليست هنا فلن أحتاج إلى الباروكة فى شىء. كنت أفكر أن أتسلى كثيرًا! خذ **(يلقى الباروكة لدون ليندو، لكنه لم يُقدر المسافة جيداً، فترتطم بجبهة العم باكو)**

العم باكــو: **(إلى لوكاس جوميث)** يجب أن تصوب جيداً يا صديقى! لست فى حاجة إلى باروكة من أى شخص.

القـــــائد: كفى! هذه هى فرصتنا للهرب!

أوربيمـالاس: فعلاً! أخيراً جاءتنا الفرصة للتحرر، لكنكم تضيعون الوقت فى الشجار بدلاً من استغلاله فيما يفيد.

القـــــائد: لديك حق. فلنهرب.

الدمى الإناث: **(معًا)** الحرية، الحرية.

خـــــوان: **(يقفز فرحًا)** كو، كو، كو، كو.

بيـروجـرويو: اسكت أنت أيها الأبله. ومن الذى سيحل محل بجماليون في إدارتنا.

مـــينجـــو ريبولجو: سأقـــوم أنا بإدارتكم وتقـديم عروضـكم فى العالم أجمع.

لـــيـــنـــدو: كما لو كان لديك نبوغ بجماليون.

مـــينجـــو ريبولجو: لهذا السبب نتخذ أورديمالاس مستشاراً.

بيـروجـرويو: وأنـا، مـاذا؟ هـل يمـكن الاسـتغنـاء عنى فى تشـكيل هذه الحكومة؟

أورديمـالاس: **(يتظاهر بابتـسـامـة)** لا يمكن. سـتكون أنت ممثلنا الدبلوماسى بين الرجال؛ لأنك ملىء بالكرامة، ولا تخطئ أبداً.

بيـروجـرويو: فعلاً. يعجبنى كثيراً أن تكونوا عادلين معى.

أورديمـالاس: لن نضيع الوقت فى الكلام.

القـــــائد: حسنًا ما قلت. سأجهز للهروب فى الحال وأحمسكم جميعاً.

خـــــوان: **(سعيد جداً)** كو، كو، كو، كو.

القـــــائد: **(يخرج السيف ويلوح به)** تعالوا هنا. اسمعونى، أطيعونى. **(لا يزال يمسك السيف بيده اليمنى، ويأخذ بيده اليسرى من الأرض الكشاف الذى تركه الفرّاش وينظر إليه بإمعان**

شديد. يحيط به كل الدُمى الذكور والإناث. يلوح مرة بالسيف ومرة بالكشاف) أكلمكم باسم تعايشنا ومصالحنا المقدسة!

أوريمالاس: (يقترب من القائد) لنر إن كنت على مستوى الأحداث.

القائد: أنا أكون دائمًا في القمة، في مأمن من الخسة العامية! اسمعوا.

(يضيِّقون الدائرة)

أوريمالاس: (بجوار القائد) اختصر.

القائد: عُلم. انظروا جيداً إلى هذه النافذة. **(يعود ويشير إليها بسيفه)** انظروا جيداً. **(تنظر كل الدُمى إلى النافذة)** وراء هذه النافذة نهاية عبوديتنا.

بيروجروبو: (يتقدم خطوة ويرفع يده بوقار) وبداية حريتنا.

أوريمالاس: هذا ما نتوق إليه جميعاً أيها الشجعان!

القائد : وراء هذه النافذة السعادة الحرة، الرقص الحر والتفاهم الحر... كل ما هو حر!

أوريمالاس: (بصوت منخفض للقائد) لا تتحمس. اختصر.

القائد: (إلى أوريمالاس بالصوت نفسه) أجل، أجل. **(بصوت عالٍ)** الهروب... الهروب... هو... هو... هو... هو...

بيروجروبو: الهروب هو أن نهرب.

القائد: لقد قلته أنت يا بيروجروبو! أشكرك على هذه المساعدة! الهروب هو الانطلاق، والانطلاق يعني الاستمتاع بحياة جديدة بدون استبداد بجماليون.

أوريمالاس: **(يشده من كم السترة)** أجز يا رجل، أجز.

القائد: **(إلى أوريمالاس.)** علم، علم. **(بصوت عالٍ مرة أخرى)** خذ أنت يا برناردو **(يقدم له الكشّاف)** خذ.

برناردو: أنا؟

القائد: أنت، نعم أنت.

برناردو: **(يأخذ الكشّاف)** عجبًا!

القائد: اقفز أنت أولا من هذه النافذة، وإذا وجدت أى عائق فاقضِ عليه بسيفك.

برناردو: **(معارضًا)** ربما لا أستحق شرف أن أكون أول من يقفز يا سيادة القائد.

القائد: **(بصبر طويل فى الإقناع)** إنك تستحق هذا الشرف يا برناردو العظيم، تستحقه بالفعل.

برناردو: **(يحمل الكشاف فى يده ويبدو عليه أثر الجزع)** أعتقد أنك تبالغ. أليس كذلك يا عم باكو؟

العم باكو: لا دخل لى فى هذا الموضوع، فكل ما أريده هو أن نهرب بأقصى سرعة ممكنة.

القائد: لا أبالغ يا برناردو. يجب أن تسبقنا بسيفك الشهير، ومن بعدك أمبروسيو ببندقيته الجاهزة، والقزم بصولجانه.

القزم: ربما لا نكون نحن الآن الذين يشار إليهم بالبنان، ولا الأكثر احتراما.

أوريمالاس: ولِمَ لا؟ أنتم تجمعون بين كل هذه الصفات.

القـــــائد: لا شك فى هذا. يجب أن تضحوا بتواضعكم الطبيعى وتذعنوا أمام عظمتكم. لقد أعطاكم بجماليون كل هذا!
(يمسك طرف اللحية بيده التى بها الكشاف ويشدد على كلامه بتحريك السيف) سعداء أولئك الذين حفظ لهم قدرهم مهمة البطولة السامية! أحسدك أنت والقزم وأمبروسيو الشجاع لأنكم ستخلَّدون.

بـــرنـــاردو: عجبًا!

القـــــائد: اذهب يا برناردو، اذهب. واتبعه يا أمبروسيو، وأنت، يا قزم الخان الشهير، ساعدهما. اذهبوا أنتم الثلاثة.

كـل الـدُّمـى: اذهبوا، اذهبوا.

القـــــائد: **(إلى برناردو الذى يصفر وجهه ويمعن فى النظر إلى الكشّاف)** اذهب أنت، اذهب. ليس من فراغ تُدعى برناردو [٧].

بـــرنـــاردو: **(بحزن شديد)** حقًا، لسبب ما أُدعى برناردو.

أورديمالاس: النبل يحكم!

القـــــائد: يحكم كثيرًا! اذهب، اذهب إلى النافذة يا برناردو لكى تخرج إلى الشارع وتخبرنا إن لم يكن هناك أى عائق فى الطريق.

بـــرنـــاردو: **(يخرج سيفه الكبير ويترك الكشّاف على الأرض)** الضوء يُعرض للخطر، أُفضل الظلام.

القـــــائد: هيا يا أمبروسيو ويا قزم وقدما له الحماية.

---

(٧) راهب برناردوسيّ .

أمبروسيو: (**يمسك البندقية وهو حزين جداً ويرفع زنادها**) حسناً، سنعطيها له. لم يعد هناك حل آخر.

القزم: (**يحرك الصولجان**) يجب أن يتقدم واحد منا أولاً.

القائد: (**يرفع السيف إلى أعلى بعظمة**) ستتقدمون من أجل سلالتنا! لقد سمعتم ألف مرة بجماليون وهو يقول إننا بداية مستقبل عالم أفضل. تخيلوا المكان الذى سيحجزه لكم التاريخ غداً!

لوثيندا: سننسج لكم التيجان.

الدُمى الثلاث: (**معًا**) تيجان كثيرة جداً. يعيش الأبطال!

القائد: سترون أن النساء سيحتفلن بكم أيضاً.

برناردو: (**يتجه ببطء نحو النافذة وهو يلوح بالسيف**) هيا.

أمبروسيو: (**من ورائه**) هيا.

القزم: (**يمشى بدون رغبة وراء أمبروسيو**) لكن بدون جرى، وباحتراس شديد.

أورديمالاس: (**يظل بدون حركة وهو يراهم وهم يمشون**) يا لحظكم!

القائد: ومن ينال هذا الحظ! إنهم المختارون فقط!

خوان: كو، كو.

برناردو: (**وصل إلى النافذة، ينظر من خلالها إلى الشارع**) لا يُرى شىء. (**يقفز، يصف المشهد بسيفه، يعود إلى الدُمى ويطلق إشارات تدل على إمكانية سيرهم وراءه ثم يختفى. يقفز أمبروسيو وكذلك القزم. يعودان إلى الدُمى ويطلقان لهم الإشارات نفسها التى أطلقها برناردو، ويبتعدان إلى أن يختفيا فى ظلام الليل**)

لـيـنـدو: **(يذهب بسرعة إلى النافذة)** سأجد بومبونينا.

(يقفز من النافذة ويختفى)

مـيـنـجـو ريبولجو: سأجدها وستكون لى!

(يتبع دون ليندو قافزًا من النافذة بعنف)

بيـروجـرويو: سأتبعك، سأتبعك يا عزيزى مينجو.

(يقفز بسرعة وراء ريبولجو ويمشى مسرعًا)

الـقـائـد: **(يصل إلى إطار النافذة حاملا سيفه المحدب المرفوع)**

تعالوا كلكم: اقفزوا! أسرعوا!

العم باكـو: **(يمشى وحده تجاه النافذة)** موضوع السرعة يعتمد على ما حدده الترزى، فأنا بدين ولا أستطيع أن أجهد نفسى كثيراً. هيا يا دوندينيلا.

دونديـنيـلا: حالاً.

(تصل إلى جوار العم باكو الذى عبر من النافذة بعد جهد جهيد. يمد يديه وهو فى الشارع ويمسك بيدى دوندينيلا ويساعدها على المرور، واضعًا فى الحسبان ألا يُرى من جسمها شىء، ويشدها نحوه. يذهب الاثنان)

بريكيـتـو: **(يدفع الدُّمى الثلاث)** اتبعننى، سأساعدكن على القفز.

لـوثـيـنـدا: أجل، ساعدنا.

كـوريـنـا: وأخيراً حصلنا على حريتنا!

مـاريلوندا: إنه الوقت المناسب!

بريكيتــو: **(يقفز من النافذة بمهارة ويراقب الشارع ثم يتجه بعد ذلك إلى الدُمى الثلاث)** ليس هناك أحد. تعالين أيتها الجميلات، تعالين. سأرشدكن وأقدم لكن النصائح بطريقة أفضل من الطريقة التى قام بها العم باكو مع عروسه.

(يساعد الدُمى الثلاث على المرور من النافذة مثلما فعل العم باكو مع دوندينيلا، واضعًا فى الحسبان موضوع الملابس، ويهرب الأربعة على الفور)

لوكــاس: سأهرب أنا الآن، وعندما أحس بأى خطر سأنبهكم عن طريق الغناء. اتركوا لى الكشاف.

القــائد: لا كشاف ولا غناء؛ لأنك لست بطلاً. انصرف بسرعة.

لوكــاس: سأنصرف يا رجل، سأنصرف. لا تكن هلوعًا. **(يقفز ويقول وهو فى الشارع)** الطريق خاوٍ!

خــوان: **(يقفز وراء لوكاس ويقول بصوت خفيض)** كو، كو.

القــائد: **(يضربه بالسيف ضربة خفيفة)** هدوءًا أيها الغبى.

خــوان: **(يلمس ظهره متألمًا)** كو، كو.

(يختفى)

أورديمالاس: **(يمر بهدوء إلى الشارع)** إلى اللقاء يا سيادة القائد.

(ينصرف)

القــائد: **(يطل من النافذة)** كيف إلى اللقاء؟ سنلتقى حالاً.

(لا يزال يطل من النافذة، يفرك عينيه بيده اليسرى ناظراً إلى المكان الذى ذهبت منه الدُمى)

المشهد الخامس

(القائد وأورديمالاس الذى يذهب نحو النافذة)

القائد: (بلهفة) ماذا؟ هل هناك جديد؟

أورديمالاس: لا جديد. لا يُرى أى شىء، ولا حتى مصباح الحارس الليلى.

القائد: أخيراً! ولماذا تعود؟

أورديمالاس: أعلم أنك ستبقى و...

القائد: كيف سأبقى؟! وفى مناسبة كهذه! هذا يعنى أنك تسبنى وتتجاهلنى! أنت الوحيد الذى يمكن أن يفكر هذا التفكير الدنىء!

أورديمالاس: صه، اسكت! لا تلجأ إلى إلقاء الخطب معى! حيث إننى أعلم تماماً أنك ستبقى، سآخذ على عاتقى أن تستقبل هنا أخبارنا لكى تنضم إلينا عندما تستطيع أن تهرب دونما أقل خطر.

القائد: لكن يا أورديمالاس...!

أورديمالاس: إنها مبالغة فى التعبير. يجب أن نتفادى أى خطر يا سيادة القائد؛ لأن وجودك مثل وجودى، لا يمكن الاستغناء عنه فى المسرحيات الهزلية، وفى العالم. إلى اللقاء يا سيادة القائد.

(ينظر إلى اليسار ويذهب من جديد)

القـــــائد: **(يدير ظهره إلى النافذة، يستند بإحدى يديه إلى سيفه ويلمس باليد الأخرى شاربه والصولجان، يتروى عدة ثوان)** لدى أورديمالاس حق. إنه ذكي جدًا! لديه حق فعلا! ما من شك في هذا، يجب عليَّ أن أبقى! آه مما سيحدث هنا! سيكون شيئًا عجيبًا سماع بجماليون ورؤية وجهه عندما يكتشف هروب دُماه. **(يذهب مسرعًا إلى صندوقه)** عندما يأتي غدًا ويكتشف الحقيقة، سأخرج وأقول له إنني لم أستطع منع هذا الهروب الإجرامي، وإنني صرخت لكن دون جدوى؛ لأنهم لم يعيروني اهتمامًا، وبهذا سأصبح رجله ودُميته الذي يثق به. لن يراقبوني أبدًا، ولن يشكوا فيَّ، وهكذا أستطيع أن أخرج من هنا دون أن أتعرض للخطر وأنضم إلى دُماي بدون أي تفسير، وذلك بالطريقة التي تتفق مع قائد له تاريخ مجيد مثلي.

(يدخل صندوقه ويغلق الباب. تسمع ضوضاء معدنية، ويسدل الستار بسرعة)

الفصل الثالث

(تدور الأحداث داخل منزل عامل طُرق متواضع. مقاعد خشبية متواضعة ضاربة إلى السواد. فى أحد الأركان ناحية اليمين مقعدان من البوط أمام مائدة صغيرة قديمة من الصنوبر فوقها لمبة مضاءة. باب رئيسى شبه مغلق. أربع نوافذ مفتوحة، اثنتان جانبيتان والأخريان فى العمق، واحدة على جانب الباب الرئيسى، تطل على طريق سير السيارات. على الجدران آلات عمل: معازق، مطارق لتكسير الأحجار، وبندقية. هناك باب آخر موارب على اليسار يؤدى إلى غرفة النوم. يُرى مفتاح فى القفل. فى الركن المقابل للمائدة مطارق خشبية ثقيلة للدق. الوقت ليلاً. يتسلل إلى المشهد شعاع ضوء القمر ويلمع وراء إحدى النوافذ. القمر مكتمل وضارب إلى الحمرة مثل المصباح اليابانى)

المشهد الأول

(تجلس بومبونينا على أحد المقاعد وتسند كوعها إلى المائدة، تنظر إلى وجهها فى المرآة الصغيرة التى تمسكها بيدها اليسرى بفضل ضوء اللمبة. يقف الدوق أمام الدُمية وينظر إليها باهتمام شديد)

الـــــــدوق: لا تنظرى ثانية فى المرآة يا روحى.

بومــبــونينا: **(تبعد كوعها عن المائدة، وترفع فجأة بيدها اليمنى تنورتها التى تضايقها)** أريد أن أرى نفسى.

الـــــــدوق: **(ينظر إليها مدهوشًا)** أنت غاية فى الجمال، ولا ترينى هذه السيقان الرائعة الآن. لا أستطيع أن أقاوم! هذا بالإضافة إلى أنه ليس الوقت المناسب!

بومــبــونينا: يروقنى أن ترى جيداً كل ما بى. لم يُرد بجماليون أن أظهر عارية أمام الجمهور، وكنت أقول له دائمًا إن كنت قد صنعتنى كاملة، فلماذا لا تسمح أن يرانى الناس بدون ملابس؟

الـــــــدوق: لن يراك أحد بدون ملابس ما دمتُ حيًا. لن يراك أحد إلا أنا.

بومــبــونينا: وأنت أيضًا؟ أنت أنانى بعض الشىء إذن. كان وصيفى وبجماليون يقولان لى هذا الكلام نفسه. لا يا سيدى، لا أقبل هذا! أريد أن يرى الناس كل جمالى.

الـــــــدوق: انظرى يا جميلتى، يجب أن تتعلمى وبأقصى سرعة أن تكونى لى وحدى؛ لأنك شىء جديد، غير منتظر، مدهش، يُعبد بكل الجوارح، مع أنك دُمية. لا تنظرى إلى نفسك مرة أخرى؛ بل انظرى إلىّ.

بومــبــونينا: لم تعد تعجبنى!

الـــــــدوق: لقد تعبت منى بسرعة! لم يمر على لقيانا سوى ساعة واحدة!

بومبونينا: لقد وعدتنى بقصور وحفلات وحدائق ولآلئ، وهذا هو سبب هروبى معك وحدى بدون وصيفى وباقى الدُمى. لم أكن أهرب لكى أبقى فى هذا المكان! لا أريد أن أمكث هنا!

الدوق: بالطبع لا! ولا أنا أيضًا! من كان يفكر أن يحدث عطل فى السيارة؟

بومبونينا: هناك سيارات أكثر أمانًا.

الدوق: أكثر أمانًا من سيارة ماركة "رولى" آخر طراز! لم أعرف.

بومبونينا: وها أنت ترى مدى أمنها، ففى منتصف المسافة يحدث بها عطل.

الدوق: شىء لا مناص منه! لقد خرج سائقى ومعه العامل للبحث عن عربة جرّارة.

بومبونينا: وإذا قضينا هنا الليلة كلها؟

الدوق: سأندب حظى، لكن... ماذا أستطيع أن أفعل؟ نحن بعيدون جداً عن أقرب بلدة. سيتأخران حتى يعودا، على الرغم من السرعة التى ذهبا بها، لكن بجوارك كل شىء لا يساوى شيئًا. الشىء الوحيد الذى يهمنى الآن هو أنت! كل الأشياء بجانبك سيان بالنسبة إلىّ!

بومبونينا: لكنه ليس سيان بالنسبة إلىّ! يا له من دوار! سيجدنا بجماليون لأنه ذكى جداً، وعندها نقول وداعًا للهرب.

الدوق: هذا ما كان ينقصنا، لكن لن يحدث.

بومبونينا: سيحدث...

الـــــــدوق: **(يتجه نحوها بحب شديد)** لكن كم أعبدك، أيتها الدمية البهية الجميلة!

(يحاول أن يحضنها وهو فى حالة هيام شديدة)

بومبونينا: **(ترفض محاولته بالإشارة)** دعنى، دعنى.

الـــــــدوق: لا تغضبى يا جميلتى.

بومبونينا: **(تنظر إلى المرآة وتطلق بعض الإشارات، وتطرب فى تأمل نفسها)** لقد هربت لكى أتسلى وأستمتع أنا لا أنت.

(تضرب تنورتها بالمرآة) يا لها من حزينة كل هذه الأشياء!

الـــــــدوق: سنخرج بسرعة عندما تأتى سيارة أخرى. سنكون غداً فى منزلى فى "بريديو ألتو"، وسنذهب فى خلال عدة أيام إلى باريس.

بومبونينا: **(تصفق بيديها)** آه، أجل، أجل! يقول بجماليون إن باريس مدينة جميلة. سنذهب إلى هناك قريبًا لعرض بعض الأعمال المسرحية. إلى باريس، إلى باريس!

الـــــــدوق: كم يروقنى أن أراك فى حالة سعيدة بدلاً من حالة الحزن!

بومبونينا: أعطنى ماء.

الـــــــدوق: ماء؟

بومبونينا: يجب علينا أن نبلل تروسنا من حين إلى آخر. أريد ماءً.

الـــــــدوق: وأين أجده الآن؟

بومبونينا: ابحث عنه.

الـــــــدوق: لكن يا بومبونينا...

بومبونينا: أريد ماءً. لقد وعدتنى بتلبية كل رغباتى. اذهب إلى السيارة وأحضره.

الدوق: هناك فقط زجاجات خمر.

بومبونينا: ابحث عنه إذن داخل البيت.

الدوق: لكن يا بومبونينا...

بومبونينا: **(تغضب)** أريد ماءً.

الدوق: لا، لا تبكى! بكاؤك يجرح روحى.

بومبونينا: أعطنى ماء إذن.

الدوق: سأذهب للبحث عن ماء. لا تنزعجى.

(يشعل عود كبريت ويدخل من الباب الأيسر إلى داخل المنزل. تبقى الدُمية وحدها فى وضع تفكير. لحظة سكون وصمت)

بومبونينا: سأغلق الباب عليه وأذهب أنا وحدى... آى، لا، يا للخوف، وحدى، لا!... لكن سأحبسه. سأجعله يغضب لكى لا أملّ! **(تمشى على أطراف أصابعها نحو الباب الذى دخل منه الدوق وتغلقه)** هكذا، هكذا. يا للمزاح! هناك أسياخ حديدية بالنوافذ. لن يستطيع أن يقفز.

الدوق: **(يدق على الباب من الداخل)** الماء.

بومبونينا: **(بجوار الباب)** لا أريد ماءً الآن.

الدوق: افتحى، لقد حبستنى.

بومبونينا: لن أفتح. اغضب.

الدوق: بومبونينا!

بومبونينا: لن أفتح.

السوق: لكن يا أيتها المخلوقة...

بومبونينا: لست مخلوقة. أنا بومبونينا.

السوق: **(يضرب الباب)** هيا، افتحى!

بومبونينا: **(تضع يدها اليمنى على أنفها وتسخر منه)** لن أفتح. حبستُكَ لأنك سيئ.

السوق: **(يدق على الباب دقًا شديدًا)** سأكسر الباب.

بومبونينا: أفضل! فهذا يسليني! لقد سئمت كثيراً!

(يسمع على بعد صوت بوق سيارة)

السوق: هل تسمعين؟

بومبونينا: أجل أسمع. سأذهب لأرى.

(تطل من النافذة)

السوق: أخيراً! وصلت السيارة إلى هنا يا بومبونينا! افتحى.

بومبونينا: **(من النافذة)** لا أرى شيئًا حتى الآن. اسكت، فهناك سيدة تأتى ماشية على قدميها.

السوق: سيدة؟

بومبونينا: أجل، سيدة وديعة جداً. يبدو أنها تبحث عن شىء... تمعن الآن فى النظر إلىّ، تأتى صوب البيت. **(تكف عن النظر من النافذة)** مَن تكون؟

السوق: **(يزيد عدد الضربات على الباب)** افتحى، أستحلفك بالله أن تفتحى.

بومبونينا: فيما بعد، فيما بعد. يروقنى أن أجعلك غاضباً.

المشهد الثانى

(بومبونينا وخوليا، امرأة مزينة وشابة، تظهر عند الباب الرئيسى، والدوق بداخل الغرفة)

خوليا: (تمعن فى النظر إلى بومبونينا وهى عند عتبة الباب) أكيد هى.

بومبونينا: (تنظر إلى خوليا) لقد رأيتك من بعيد، ادخلى، ادخلى.

(تتقدم خوليا ببطء دون أن تكف عن النظر إلى بومبونينا)

الدوق: (يُمطر الباب بوابل من الضربات بالقدم وباليد) افتحى، افتحى.

خوليا: (تنظر إلى الباب مدهوشة) من بالداخل؟

الدوق: هذا ما ينقصنى أن تجىء خوليا إلى هنا.

خوليا: (تذهب إلى الباب مسرعة وتضع أذنها عليه) الدوق.

بومبونينا: أتعرفينه؟

خوليا: لا أعرف شيئًا آخر، لقد جئت من أجله.

الدوق: (بصوت مخنوق) افتحى.

خوليا: (لنفسها بعد أن تفحص بومبونينا بنظارة صغيرة ذات يد) إنها حقًا جميلة. (بصوتٍ عالٍ) هل قمت حضرتك بحبسه؟

بومبونينا: (تنظر أيضًا إلى السيدة بنظارتها) لقد أصابنى بالملل.

خـــوليـــا: وهل هذا هو السبب؟
بومـبـونينا: نعم هذا هو السبب، ولكى أتسلى حبسته.
خـــوليـــا: **(تتكلم بصوتٍ عالٍ بالقرب من الباب لكى يسمعها الدوق)** رائع أن تحبسه دُمية وتسخر منه!
الـــــدوق: **(يضرب الباب بغيظ)** افتحى الباب يا خوليا.
خـــوليـــا: يناسبنى أكثر أن تظل محبوساً.
الـــــدوق: **(يصاحب كلامه بضربات على الباب وهو فى قمة الهيجان)** وكيف وصلت إلى هذا المنزل؟
خـــوليـــا: هذا شىء لا يهمك.
الـــــدوق: افتحى من فضلك.
بومـبـونينا: **(إلى خوليا بوداعة)** إنه غاضب، أليس كذلك؟
خـــوليـــا: فليغضب. جئت بسببه وبسبب حضرتك، سواء أكنت دُمية أم لا.
بومـبـونينا: أنا دُمية، وبما أننا جُدد هنا فلم ترينى وأنا أمثل هنا.
خـــوليـــا: لم أسمع قط أن الدُمى تتكلم. حضرتك مثل الإنسان.
بومـبـونينا: **(تحرك المروحة بدلال وغرور)** أجمل من الإنسان! لقد صنعونى جيداً!
(تذهب وتجلس على أحد المقاعد. يسمع صوت موسيقى عند جلوسها)
خـــوليـــا: هناك موسيقى بداخل حضرتك.
بومـبـونينا: ألا تسمعينها؟

خــــوليـــــا: كل هذا شيء أكثر من رائع.

بومـبـونينا: وأنت، من أنت؟

خــــوليـــــا: **(تبدو عليها علامات غضب)** أتريدين أن تعرفي من أنا، ولماذا جئت؟

بومـبـونينا: آه، بالطبع؟ لا أفهم!

خــــوليـــــا: تفهم الدُمى أشياء قليلة.

بومـبـونينا: لا تصدقي ذلك. لقد أعطانا بجماليون كثيراً من المكر والسخرية. ستتأكدين من ذلك إذا تعرفت إلى أورديمالاس، إنه ذكي جداً.

خــــوليـــــا: لا أورديمالاس ولا أنت! تسرقين مني الدوق!

بومـبـونينا: أنا؟ لم أسرق الدوق؛ بل هو الذي سرقني.

خــــوليـــــا: هو الذي سرقك؟

بومـبـونينا: لقد سرقني من صندوقي يا سيدتي ووعدني بأنني سأكون ملكة، وسيكون لي كثير من القصور واللآلئ والماس، وها أنا الآن نادمة على هذا الهروب. سأعود إلى دُماي. إلى اللقاء، إني ذاهبة.

الـــــــدوق: كيف تذهبين؟ بومبونينا!

خــــوليـــــا: ليس هناك حل آخر، لن تذهبي.

(تقفز على الدُمية وتمسكها من ذراعها. يُسْمَع صرير صندوق موسيقى مهزوز ونغمتان أو ثلاث غير معتدلة لجرس رنّان)

بومبونينا: دعيني! اتركيني!

السوق: **(يصيح وراء الباب)** سأقتلك إذا كسرتها!

بومبونينا: النجدة!... آه، آه!... النجدة!

السوق: **(كالمجنون)** اتركيها يا خوليا، اتركيها!

خوليا: **(تهز بومبونينا مرة أخرى)** كيف أتركها؟ سأحطمها!

(تضع يدها على القبعة واليد الأخرى على صدرها. يطل خوان الأبله بوجهه من النافذة اليسرى الداخلية)

المشهد الثالث

(خوليا وبومبونينا والدُمى التي سيشار إليها في هذا المشهد)

خوان: **(ناظرًا إلى بومبونينا)** كو، كو.

خوليا: **(مدهوشة، تترك بومبونينا عندما ترى رأس خوان الأبله يطل من النافذة)** ماذا!..

بومبونينا: **(تجرى تجاه النافذة)** دُماى، دُماى.

خوان: كو، كو.

(يظهر بجوار خوان كل من لوكاس جوميث والقزم وبرناردو وأمبروسيو، وفي النافذة الداخلية الأخرى أوربيمالاس ودون ليندو. يطوف الجميع بخشبة المسرح

ناظرين بتحفظ وحذر. تنظر خوليا إلى الدُمى مدهوشة دون أن تتحرك)

لـيـنـدو: بومبونينا!

بومـبـونينا: **(تذهب إلى النافـذة الأخـرى عندمـا ترى دون ليندو وتحضنه)** وصيفى!

لـيـنـدو: **(يمد إليها ذراعه)** بومبونينتى!

(لحظات من التوقع والصمت)

الـدوق: **(يدق مرة أخرى على الباب)** ماذا يحدث الآن يا ربى؟

خـوليـا: **(تتأمل الدُمى حائرة)** هل أحلم؟

(تتكلم الدُمى دون أن تتجاوز النافذة)

أوريمـالاس: هيا، فلنهرب! إن بجماليون يتتبعنا!

بومـبـونينا: **(تتفك بلطف من دون ليندو)** كيف جئتم إلى هنا؟

لوكـاس: لقد هربنا.

أوريمـالاس: تكلموا بصوت منخفض.

بومـبـونينا: وماذا عن باقى الدُمى؟

لـيـنـدو: لقد أمسك بها بجماليون.

بومـبـونينا: أمسك بها!

لوكـاس: أجل، أمسك بها منذ قليل، وبعد أن علم بهروبك وبهروبنا، جَهَّزَ سيارتنا للسفر إلى القرى، وبدأ هو وحده فى مطاردتنا.

لـــيـــنـــدو: نزل فى ميدان ملىء بالأروقة لكى يمسك بنا.

أورديمـالاس: وعندما كـان يمـسك ببـريكيـتـو ولوثيندا وباقى الدُمى، اقتحمنا السيـارة، وقمـت أنا بقيادتها بأقصى سـرعة، وها نحن هنا.

لـــيـــنـــدو: ورأينا بالمصادفة فى أثناء هروبنا سيارتين واقفتين ونوراً فى هذا المنزل، فجئنا إلى هذه النافذة ونحن نفكر فيمن اختطفك وفيك.

بومـبـونينا: **(ترفـع يديهـا الجـميلتـين وتصفق)** أحسنتم صنيـعًا، أحسنتم صنيعًا! يا للسعادة! لولاكم...

أورديمـالاس: **(يقاطعها)** لن نضيع الوقت الآن . إن بجماليون يلاحقنا عن قرب.

لـــيـــنـــدو: تعالى يا بومبونينا، تعالى، تعالى!

بومـبـونينا: أجل، أجل، أجل! خذونى! احملونى!

(تقفز من النافذة بمساعدة دون ليندو وأورديمالاس)

خـــــــوان: **(يراقب خوليا وينظر مرة أخرى إلى كل الغرفة)** كو، كو.

(تختفى كل الدُمى. يظل خوان الأبله لحظة عند النافذة ويطلق إشارات سخرية لخوليا) كو، كو.

(ينصرف. يُسمع الدوق وهو يدق الباب بغيظ. تقف خوليا فى منتصف خشبة المسرح وهى تنظر إلى النوافذ بدهشة. لحظة أخرى من الصمت)

المشهد الرابع

(خوليا والدوق الذى لا يزال حبيساً)

خـــوليـــا: **(لنفسها دون تركيز)** لكن، ما هذا؟ أية أشباح تلك التى رأيتها؟ يا للوجوه التى رأيتها!... لا أصدق ما حدث مع أننى رأيتها بأم عينى! **(تذهب بحذر إلى النافذة اليمنى وهى ترتعد، تطل منها بخوف وتنتظر للحظات)** لقد ذهبت! لا يُرى شىء!

الـــــــدوق: **(من الداخل)** بومبونينا، بومبونينا...

خـــوليـــا: **(من النافذة)** لقد ذهبت يا بنى، لقد ذهبت.

الـــــــدوق: ذهبت بومبونينا!

خـــوليـــا: **(تترك النافذة وهى خائفة، تقترب من باب الحجرة التى بها الدوق)** أجل. جاءت شخصيات غريبة جداً وأخذت بومبونينا.

الـــــــدوق: إما أن تفتحى الباب أو لن أكون مسئولا عن تصرفاتى!

خـــوليـــا: لن أفتح لك إلى أن يصل أحد. أعرف كيف تكون حالك عندما تغضب، والحقيقة ...

الــــــــدوق: كيف جئت إلى هنا؟

خـــوليـــا: **(تتكلم بالقرب من البـاب)** لقـد ذهبت إلى منزلك وعلمت بهـروبك مع تلك الدُمـيـة الشنيـعـة، فـجن جنونى وركـبت سيارتى...

الــــــــدوق: ولسوء الحظ لم تتعرضى لحادث!

خـــوليـــا: وفجأة قال لى قلبى إنك حملت تلك الأسيرة إلى مزرعتك ببريديو ألتو، تلك المزرعة التى قضيت فيها معى أول أيام شهر العسل.

الــــــــدوق: **(هائجًـا، يصيح ويدق على البـاب بكل مـا أوتى من قـوة)** افتحى!

خـــوليـــا: فيمـا بعد يا رجل، فيمـا بعد. اسكت! ستـصبح أخرس! **(تذهب وتحضر مقعدًا وتجلس عليه أمام الباب)** لن أفتح لك حتى يأتى أحد. لست مستعجلة.

الــــــــدوق: أستحلفك بالله أن تفتحى يا خوليا!

خـــوليـــا: **(تجلس على المقعد بكل أبهة)** لست مستعجلة.

(دقات عنيفة على الباب من قبل الدوق)

المشهد الخامس

(خوليا والدُمى المذكورون من قبل بعد عودتهم مرة أخرى عند النافذة الداخلية، يتحدثون معًا بطريقة متسرعة وعصبية، لكن لا يُسمع من كلامهم شيء، ويشيرون إلى خوليا التى تجلس على المقعد وظهرها إليهم؛ ولذلك لا تراهم. يقفز أورديمالاس ولوكاس جوميث من النافذة ويمشيان بحذر شديد على أطراف أصابعهما حتى لا يحس بهما أحد، ويقتربان من خوليا. يخرج أورديمالاس منديلا من جيبه. يقفز كل من أمبروسيو وبرناردو والقزم وخوان الأبله. يقوم أورديمالاس عند الاقتراب من خوليا بإلقاء المنديل على وجهها فيغطي عينيها وفمها. يمسك لوكاس ذراعيها، ويسانده أمبروسيو والقزم، وتُكَبَّل خوليا. يبقى الأبله ويطلق ضحكات غبية وإشارات سعادة)

أورديمالاس: (بصوت خفيض، يوجه إشارات معبرة إلى دون ليندو وبومبونينا اللذين بقيا وراء النافذة متقاربين هائمين)
اذهبا إلى النافذة الحديدية بالخارج واسترعيا انتباه الدوق.
(يختفي دون ليندو و بومبونينا من عند النافذة)

الدوق: (من الداخل لكن بدون أن يدق على الباب) وأخيراً وصل أحد عند النافذة! استعدى يا خوليا (بصوت بعيد جداً) ماذا! بومبونينا! دون ليندو!

(يتجه لوكاس جوميث بسرعة إلى الباب ويلف المفتاح. يقوم برناردو وأورديمالاس والقزم بدفع خوليا تجاه الباب الذى يفتحه لوكاس بقدر ما يسمح بدخول جسمها منه، ويدفعونها داخل الحجرة. يغلق لوكاس الباب بسرعة بعد أن يلف المفتاح مرتين، ويتجه بعد ذلك إلى النافذة. يحدث كل هذا فى لمح البصر)

لوكاس: (من عند النافذة) تعالوا، كل شىء جاهز.

خوان: (يفرك يديه بسعادة بالغة وهو مبتسم) كو، كو.

(يعود لوكاس إلى جوار الدُمى. يسمع وراء الباب صوت ضربات شديدة وصيحات قوية من خوليا، لكنها تتوقف بعد فترة قليلة جداً. يظهر مرة أخرى عند النافذة دون ليندو وبومبونينا ويقفزان لينضما إلى أورديمالاس وباقى الدُمى)

المشهد السادس

(الدُمى الثمانى المشار إليهم آنفًا)

أورديمالاس: (إلى بومبونينا) لقد ثأرنا لك!

ليندو: (يشير إلى الباب وهو ممسك بذراع بومبونينا) هذه هى التى كانت تريد أن تقطعك إربا إربا ، أليس كذلك؟ ستُقطع هى الآن إذن.

بومبونينا: وهكذا ستعاقب لأنها سيئة.

(ضوضاء أخرى وراء الباب تستمر قليلا، وأنين مخنوق. يعم الصمت بعد ذلك)

لوكاس: **(سعيد جداً. يقلد بالإشارة طريقة الجلّد)** هل تسمعون؟ يا لها من علقة تتلقاها خوليا هناك بالداخل.

برناردو: لو كان الأمر بيدى لعذبتها أشد العذاب! والآن يجب علينا أن نذهب بعد أن ثأرنا لبومبونينا.

أورديمالاس: لقد غيرت رأيي. سنبقى هنا!

لوكاس: البقاء هنا عبث لا معنى له!

ليندو: غباء؛ لأن بجماليون قريب من هنا، وهذا هو المنزل الوحيد في هذه المنطقة، وكما لفت أنظارنا سيلفت نظر بجماليون أيضاً وسيدخل إلى هنا.

أورديمالاس: لن يبرح أحد هذا المكان.

القزم: **(يخطو خطوتين تجاه الباب الرئيسى)** سنخرج كلنا، وابق أنت وحدك.

برناردو: إذا كنت تعتقد أننا كنا أبطالاً فى هروبنا أنا وأمبروسيو والقزم، فذلك يُعزى إلى أننا كنا نخشى أن يعيدونا مرة أخرى إلى صناديقنا.

أورديمالاس: لا تتعجبوا واسمعونى. **(تُشكل الدُمى نصف دائرة من حوله. يستمع إليه خوان الأبله الذى يشدد على إبراز تعبيراته كساذج. يعرض أورديمالاس رأيه بطريقة موحية**

ومقنعة) لقد أنقذنا بومبونينا منذ لحظات وذهبنا إلى سيارتنا، لماذا عدنا مرة أخرى إلى هنا بدلا من أن نهرب؟

لسيندو: هيا! جئنا لإنقاذ بومبونينا من تلك المرأة المتوحشة.

أوريمالاس: وكل هذا لأن بومبونينا حكت لنا الخطر الذى حدث فى أثناء عودتنا إلى السيارة.

لسيندو: لماذا كنت تريد الهرب وتريد الآن أن نبقى هنا؟

أوريمالاس: لأن الغيوم من قبل كانت تغطى القمر، لكن السماء الآن صافية، وضيعنا وقتًا كبيرًا، وبما أن الصبح أوشك على الإشراق، والمنطقة كلها عبارة عن سهل، وليس هناك ظل لكى يحمينا، فإن بجماليون سيمسك بنا إذا رآنا. وبدلا من تحرير زملائنا سنصبح عبيداً مرة أخرى، وسنمثل أول مسرحية فى مسرح ألدوركارا، وهذا ما يتوق إليه بجماليون.

لوكاس: وما لا نريده نحن!

بومبونينا: وسنكون مرة أخرى مع بجماليون بعد أن اعتقدنا أننا تحررنا منه إلى الأبد. يا للهول!

لسيندو: لكن إذا لم نخرج وأمسك بنا بجماليون هنا، كيف نستطيع أن نتحرر منه؟

أوريمالاس: دعونى أكمل كلامى. ماذا يريد بجماليون؟ يريد أن يتحكم فينا. وماذا نريد نحن؟ نريد أن نكون أحرارًا. ومن الأقوى؟ هو. ومن الضعيف؟

لوكـــــاس: نحن لسوء الحظ.

أورديمــالاس: أو لحسن الحظ. العالم للضعفاء الأذكياء.

لـــيـــنـــدو: وماذا سنفعل؟

أورديمــالاس: السوء... نفعل السوء، السوء المحض، السوء العادل. ماذا فعل بجماليون معنا؟ صنعنا غاية في السوء بمحض إرادته، والدليل أنه يصنع دُمى أفضل منا، وعندما سينتهى من صنعها ستحل محلنا وستدمرنا. فهيا بنا إذن إلى فعل السوء، السوء الأكبر؛ أن نقضى على بجماليون هنا قبل أن يأتى اليوم الذى سيقضى علينا فيه.

بومـبـونينا: (**تصفق**) آه، أجل... لكن كيف سنقضى عليه؟

أورديمــالاس: بأن نشيع عدم النظام والفوضى بين رعايانا لأنهما أفضل من العدالة. لقد قال لى بجماليون ذات يوم بعد أن انتهى من صنعى، عندما أراد أن يجرب ذكائى كدُمية، قال إنه من الفوضى الموجودة بالسماء ظهَرَ هذا القمر الذى يزعجنا الآن، وظهرت كذلك النجوم. وما دامت هذه النجوم القديمة جداً موجودة ومستمرة فلا يمكن أن تظهر نجوم أخرى أفضل. فلنفعل السوء، السوء المحض...

لوكـــــاس: وكيف سنفعله أيها الذكى؟

أورديمــالاس: دعونى أقوم به أنا؛ لأنها وظيفتى التى وجدت من أجلها.

بــرنــاردو: ستجيبنا أنت...

أورديمالاس: على كل شيء يا عزيزي برناردو، على كل شيء. كان لي ألف جد، وسيكون لي ألف وريث، ووجودي في العالم ضروري، حيث لا يستطيع الإنسان ولا الدُمى العيش أو التقدم بدوني. **(ينفصل عن الدُمى الذين ينظرون إليه بدهشة، ويمشي ببطء نحو الجدار، ويأخذ البندقية المعلقة عليها ويفحصها باهتمام)** هل ترون؟ لي في كل مكان شركاء ومساعدات غير مرئية. يسيطر أصدقائي على العالم. **(يفحص البندقية مرة أخرى)** تبدو لي هذه البندقية أفضل من بندقيتك القصيرة التي تستخدمها في المسرحيات الهزلية يا أمبروسيو، بها طلقات حية، وليس من السهل أن تكون مليئة ببارود فقط كالتي تستخدمها في المسرح. **(يشد بحذر زناد البندقية، يمر أمام الدُمى متجها إلى الجدار الأيمن ويعلق البندقية عليه بحذر شديد، وينادي بيده على زملائه فيقتربون منه)** اسكتوا، تعالوا وأطيعوني طاعة عمياء.

(يسمع عن بعد صوت عربة نقل يقترب تدريجيًا بين ضوضاء أصوات وصرخات مثل صوت الأشياء الحديدية عند اهتزازها. تتوقف الدُمى فجأة وهم في طريقهم إلى أورديمالاس خائفين. يسمع للحظات عند توقفهم أصوات أحشائهم من أثر الوقوف المفاجئ)

بومبونينا: الدُمى!

لـيـنـدو: إنها عربتنا. أعرفها من صوتها، إنها عربتنا!

بـرنـاردو: أخذها منا بجماليون.

لوكـاس: أجل، سينقل باقى الدُمى إلى العربة من سيارته.

أمبروسيو: سيمسك بنا لا محالة!

القـزم: **(يرفع صولجانه أمام أورديمالاس)** آه منك إذا تمكنوا منا!

باقى الدُمى: **(يتقدمون يائسين تجاه أورديمالاس ويرفعون أيديهم أمامه)** تبًا لك، تبًا لك!

خـوان: **(لا يقوى على الكلام، ووجهه مليء بالرعب، يهدد أيضًا بقبضتى يديه)** كو، كو.

أورديمالاس: **(يذهب مسرعًا تجاه الدُمى ويبعدهم جانبًا بضربة يد)** بُلهاء! تستحقون ألا يتركَكم حظكم العاثر! اسكتوا وأطيعونى! اقتربوا من الجدار!

بـرنـاردو: **(إلى الدُمى)** ماذا نفعل؟

لـيـنـدو: **(يذهب إلى الحائط الأيمن الذى علّقَ أورديمالاس البندقية عليه)** لم يعد أمامنا حل آخر سوى الطاعة.

بومبونينا: **(تذهب وراء دون ليندو)** فعلاً، فعلاً.

أورديمالاس: هدوءًا! هيا قفوا صفًا بجوار دون ليندو.

(تنفذ الدُمى الأمر ويقفون صفًا بجوار الوصيف)

القـزم: **(آخر من يقف فى الصف هو والأبله)** يا له من طاغـية! يتكلم بطريقة بجماليون نفسها!

أورديمـالاس: **(يُخفى البندقية بجسمه عندما يذهب ليقف على رأس الطابور)** ضيقوا الطابور أكثر. سننتظر هنا. لا تخافوا من بجماليون. تحدوه بالكلام. سأقضى عليه أنا وحدى.

(تقترب العربة كثيرًا ويُسمع صوتها وهى تتوقف على بعد خطوات من المنزل. يزداد الصرير والأصوات المعدنية. تسمع طقطقات سوط شديدة فى الهواء)

بجـمـاليـون: **(قريب جدًا من المنزل بدون أن يُرى، بصوت واضح وآمر)** كفاكم صياحًا! اسكتوا!

(يتوقف الصرير فجأة)

كـل الـدُمـى: **(ما عدا أورديمالاس وخوان الأبله)** هو! ها هو هنا!

(ترتعد كل الدُمى فتصدر عنهم أصوات موسيقية خفيفة رنانة. الوحيد الذى يبقى ثابتًا فى مكانه هو أورديمالاس)

المشهد السابع

(الدُمى فى الصف وبجماليون الذى يطل برأسه من إحدى نوافذ العمق. ينظر إلى كل أركان المشهد، ثم يحملق بعد ذلك فى الدُمى. تنظر الدُمى إليه بألم. وقفة قصيرة وصمت تراجيدى بين الدُمى وصانعهم)

بجـمـاليـون: **(من النافذة، قاطعًا الصمت)** أهلاً يا مكارين! يدهشنى رؤيتك يا بومبونينا! لقد قيل لى إن الدوق سرقك. لم أكن أتوقع أن أراك هنا.

بومبونينا: **(بصوت متقطع وضعيف)** ها أنا هنا، كما ترى.

بجماليون: أرى ذلك. شيء جميل جداً ما فعلتموه! ستدفعون كلكم الثمن غالياً الآن!

(يقفز من النافذة. تزداد رعشة الدُمى بطريقة مؤلمة)

بجماليون: **(يدخل من الباب الرئيسي ويقف في منتصف الغرفة ممسكًا بسوط قصير ملون ومزخرف)** آه من المنزل... آه من المنزل... إنه – فيما يبدو – مهجور.

السوق: **(من الداخل بصوت مخنوق، يدق الباب برقة بأطراف أصابعه)** بجماليون، بجماليون.

بجماليون: **(ينظر حوله)** من يناديني؟ أعرف هذا الصوت.

السوق: **(بالنغمة السابقة نفسها)** افتح لي حضرتك.

بجماليون: عجبًا! من يكون هذا السجين هنا ويعرفني؟

(يتجه نحو الباب)

خوان: **(يرفع يديه، وبنغمة رعب)** كو، كو.

بجماليون: **(يتجه نحو الدُمى ويضربهم بالسوط على سيقانهم)** اسكت أنت! ماذا يعني هذا؟ ما هذه الشيطنة الجديدة التي قمتم بها هنا؟ **(ضربة سوط أخرى)** ألا تجيبون؟ سأتخلص من شكي حالاً.

السوق: **(يدق على الباب بشدة)** هل ستفتح لي حضرتك أو لا؟

بجماليون: عجباً! إنه صوت الدوق! وبومبونينا موجودة بين الدُمى! يا لها من أشياء عجيبة تحدث الآن!

(تسمع دقات أخرى على الباب. يصل بجماليون إلى الباب ويلف المفتاح ويفتحه. يخرج الدوق وقبعته مجعدة، ووجهه يدمى من كثرة الخربشة، ياقة قميصه مجعدة كذلك، وربطة عنقه منثنية، ومعطفه مفتوح، وأزراره مدلاة وشبه مقطوعة، وياقته مقطوعة)

المشهد الثامن

(بجماليون والدوق، وتظهر بعد مدة قصيرة خوليا)

الدوق: يا للغضب، إنها ساعة الانتقام!

بجماليون: سيادتك! وفى هذا المنظر!

الدوق: أجل أنا، أجل!

بجماليون: لكن، ماذا ألمَّ بسيادتك؟

الدوق: ما حدث أن دُمى حضرتك ما هم إلا شياطين تمشى على الأرض وليسوا دُمى.

بجماليون: لقد قلت لسيادتك من قبل إنهم صُنعوا بإتقان شديد. لكن ماذا فعلوا بسيادتك؟ من الذى حَبَسَ سيادتك؟

خـــوليـــا: **(تخرج ووجهها ملىء بالخريشة، وقبعتها مثنية وفستانها مجعد وتتجه نحو الدوق)** لن تنسانى أبداً!

بجـمـاليـون: أخرى مثل الدوق! من تكون هذه السيدة؟

(يضرب كل دُمية الآخر بالكوع، وينظر كل منهم إلى زميله سعيداً بما فعلوه، على الرغم من خوفهم)

خـــوليـــا: **(تشـيـر إلى الدُمى)** هؤلاء، هؤلاء هم الذين فـعلوا بى كل هذه الأشـيـاء! تقـومـون بكل هذا مـع امـرأة وحـدها أيـهـا الجبناء!

بجـمـاليـون: **(يشير إلى الدوق)** أراها مرافقة لسيادتك...

الـــــــدوق: **(إلى خوليا)** اسكتى! كفانا فرجة! نـحن فى موقف واضح! يا للخزى!

خـــوليـــا: يجب أن تخجل من أشياء أخرى!

الـــــــدوق: لقد قلت لك أن تلتزمى الصمت!

بجـمـاليـون: كيف تكون بومبونينا موجودة وسط الدُمى وتكون سيادتك حبيساً مع هذه السيدة؟

الـــــــدوق: ليس هناك أى سبب يجعلنى أشرح لحضرتك هذا الموقف. هيـا بنا **(يصـل هـو وخـوليـا حـتى البـاب الرئيـسى، يتوقف قبل خروجه لكى يهدد الدُمى بالإشارة)** إلى اللقاء يا بومـبـونينا! سـتـكونين لى قـريبـاً، حـتى لو اعــتـرض العالم أجمع!

خـــوليـــا: سأقضى عليها أنا قبل أن تأتى هذه اللحظة!

الـــــــدوق: سيكون صعبًا! **(إلى الدُمى)** وأنتم ستستمرون قليلاً جداً أيها التافهون. **(يطلق علامة الصليب)** بيدى هذه! **(يفلت ذراعه من خوليا)** هيا بنا، هيا.

(يخرجان، يسمع بالخارج للحظات صراخ الدُمى المحبوسين فى العربة، والذين يحدثون ضوضاء عندما يرون الدوق وخوليا)

بجماليون: **(يبتسم عندما يرى الدوق وخوليا عند خروجهما)** أتمنى لكما رحلة سعيدة!

(يظل لعدة ثوانٍ فى وضع تفكير ناظرًا إلى طرف الحذاء)

المشهد التاسع

(بجماليون والدُمى الثمانى وهم يقفون صفًا بجوار الجدار)

بجماليون: **(لنفسه بعد لحظات تفكير)** الحقيقة أن دُماى حاولوا أن يسخروا منى لكنهم ثأروا لى. **(ترتعد الدُمى مرة أخرى دون أن يكفوا عن النظر إليه، يهز بجماليون السوط ويذهب نحوهم)** كيف ترتعدون! لو لم يكن لإرضاء غرورى عندما صنعتكم رغمًا عنى، والحياة التى أعطيتها لكم لقطعتكم إربًا إربًا ما عدا بومبونينا. ستكون خسارة كبيرة أن يختفى من الأرض جمال لا فائدة منه وكامل فى

الوقت نفسه! **(يفرقع السوط مرة أخرى في الهواء، يزداد ارتعـاد الدُمى بين صـرير طويل للسـوست والزنابك)** يتملككم الخوف، أليس كذلك؟

أورديمـالاس: **(الوحيد الذى لا يرتعد)** شيء عادى لا أكثر.

بجـمـاليـون: أهلا يا مفيستو! هذا الهروب من تخطيطك، أليس كذلك؟

أورديمـالاس: سيكون تخطيط مَن إن لم يكن تخطيطى؟ فكما ترى لكى أكون دُمية فإننى لم أسئ التصرف. يجب أن تكون سعيداً بما صنعت.

بجـمـاليـون: لا تعتقد ذلك. أى فنان حقيقى يكون دائمًا أفضل وأعلى من عمله، ويفكر فى أن يفوقه. يُقدره ويحتقره. أقوم الآن بعمل شيء ميكانيكى أكثر منك دقة وأفضل من الإنسان.

أورديمـالاس: الذنب ليس ذنبى أنك لم تعطنى أفضل مما أنا عليه.

بجـمـاليـون: ولا ذنبى أنا. عملت ما استطعت عمله. لستم إلا مجرد تجربة بسيطة.

أورديمـالاس: احذر هذه التجربة لأنه من الممكن أن تكلفك الكثير.

بجـمـاليـون: تهددنى يا أيها الأبله! كنت أعتقد أنك ستفكر بطريقة أفضل.

أورديمـالاس: ليس لدى كلام أكثر مما أعطيته لى.

بجـمـاليـون: اعتقدت أننى أعطيتك ذكاء شديداً. تمردكم علىَّ ليس مجدياً، ولن يمكنكم الهروب. أنا الرجل، القوى، السيد، الصانع، وأنتم دُماى، دُماى الخشبية، بهاليلى... لا أكثر! أنتم ملكى مثل هذا السوط الذى سأجلدكم به! **(يوجه إليهم**

ضربة سوط فيرتعد ويتألم الجميع ما عدا أورديمالاس، ويقتربون من الجدار) سأصنع قريبًا جدًا شيئًا أفضل من الإنسان، وأنتم لستم سوى مهرجين في مسرحي، رغبة عبقرية لخيالي، ومهارة صانع، أنتم في نهاية الأمر لستم إلا عبيدًا لي . ما أنتم إلا أعجوبة ولستم شيئًا!

أورديمـــالاس: مثلك. غرور كبير. وأنت فانٍ وستنتهي إلى لا شيء مثل كل البشر.

بجـمـــاليــون: وماذا تعرف أنت أيها الحقير عما هو موجود بعد الحياة؟

أورديمـــالاس: وهل تعرفه أنت؟

بجـمـــاليــون: أتجرؤ على الرد عليَّ أيها الغبي؟ أنا وحدي أكفي لكي أمحقك وأمحق الآخرين، وأمحق شعبًا كاملاً من الدُمى أمثالكم؛ ولذلك فضلت أن أطاردكم وحدي دون مساعدة من أحد، لأن إحضار أحد معي معناه أنني أعطيكم أهمية كبيرة وعجزًا زائدًا من ناحيتي. لا أعمل ممثلا ، أعرف مدى عملي. **(يضربهم مرة أخرى بالسوط. يرتعد الدُمى وهم في طابورهم ويملؤهم الرعب)** لنر! تقدموا خطوة إلى الأمام! عندما ستظهرون مساء غد أول مرة أمام جمهور إسبانيا فإن أحدًا لن يصدق وأنتم تمثلون مسرحياتي الهزلية أنكم قادرون على الهرب وعلى التمرد كالرجال وأنتم دُمى. هيا! خطوة إلى الأمام! بسرعة! إلى العربة!
(تبدو الحيرة على الدُمى)

أورديمـالاس: (إلى الدُمى) هدوءًا! (إلى بجماليون) لا يحلو لنا أن نذهب.

بجـمـاليـون: لا، أليس كذلك؟ (يعود ويحرك السوط ويتجه نحو الباب الرئيسى ويشير إليه بإصبعه، ويصيح بشدة وبلهجة آمرة وقاطعة) هيا إلى العربة! (يقوم الدُمى الخائفون بالخروج من الطابور الذى كانوا يكونونه عند الجدار ويمشون ببطء واحدًا وراء الآخر تجاه الباب الرئيسى. لا يزال بجماليون، الذى لم يلف ليراهم، يشير بإصبعه إلى الباب وهو واثق بنفسه وبأنه مُطاع. يضع أورديمالاس يديه على ظهره بسرعة، يأخذ البندقية ويقبض عليها فى لحظة ويطلق النار فجأة خلف بجماليون الذى يقع فى الحال على الأرض) آه...! النجدة!

(تتوقف الدُمى عن المشى ويبقون مدهوشين ناظرين إلى جسد بجماليون المُلقى على الأرض. يسمع مرة أخرى فى الخارج صراخ دُمى. يترك أورديمالاس البندقية على الأرض ويتقدم ثابت العزم إلى حيث يرقد بجماليون، يميل وينظر إليه أمام أصدقائه المدهوشين، الهادئين، الذين بدوا كما لو كانوا فقدوا فجأة القدرة على الحركة. وقفة صمت فى المشهد يقطعها فقط الصراخ القادم من الخارج)

أورديمــالاس: **(بعد أن فحص بجماليون بعناية فائقة)** توقفت سوسته المركـزية. **(يرفع قدمـه بسـرعـة ويضـعـهـا فـوق صـدر بجماليون)** ها هو الفنان الكبير!

(يزداد صياح الدُمى المحبوسين والمربوطين فى العربة فى الخارج. ضوء شاحب لصبح وليد عند النوافذ)

لــيــنــدو: **(يخطو خطوة)** ماذا حدث؟

أورديمــالاس: لقد رأيته أنت. لقد قتلته.

بومــبــونينا: **(تخطو خطوة أخرى بجوار الوصيف وتمعن فى النظر إلى بجماليون)** أوى، يا له من شاحب!... لم أر من قبل إنسانًا ميتًا!

لــيــنــدو: أخيرًا أصبحنا أحرارًا.

برناردو والقزم وأمبروسيو: **(فى حالة شعور بالمجد)** أخيرًا، أخيرًا!

لــيــنــدو: **(يحضن دميته)** لا تحبى أحدًا غيرى يا بومبونينتى.

بومــبــونينا: سأبذل كل ما بوسعى لتحقيق ذلك يا لنديتو.

لــيــنــدو: لننسَ ما حدث!

بومــبــونينا: السبب فى كل مـا حـدث هو بجمـاليون **(تشير إليه)** الذى صنع لوالبى ضعيفة.

لوكـــــاس: لحظة. **(يجرى نحـو المائدة التى عليها المصبـاح ويأخـذه ويذهب إلى المكان الذى به بجماليون ويتركه بجانبه على الأرض)** بما أنه ليس لدينا هنا شموع لتكريم الموتى كما كنا نفعل فى المسرحيات، فلنضع هذا المصباح لكى ننيره به.

(يلف الجميع بجماليون وينظرون إليه متعجبين)

أوريمالاس: **(يضع إحدى أصابعه على شفتيه)** صه! فلنسكت إذن، ولنتجه إلى العربة التى بها باقى الدُمى المربوطين، ولنهرب بسرعة دون فكهم أو أن نحكى لهم شيئًا مما حدث حتى نبعد بعيداً جداً عن هنا.

بومبونينا: لماذا؟

أوريمالاس: لأننا لو حكينا لهم سيرغبون فى المجىء إلى هنا لرؤية الميت، وبهذا نخسر وقتًا كثيراً، ويطل علينا الصبح، ويأتى إلى هذا المنزل بعض الأشخاص.

ليندو: أجل، هيا بنا، هيا بنا.

بومبونينا: إلى أين؟

أوريمالاس: إلى المغامرة نحن وبقية الزملاء، إلى الحياة، فالعالم لا يزال أمامنا، إلى حيث يحملنا مصيرنا كدُمى عباقرة.

ليندو: **(يرفع بومبونينا من خصرها)** أجل، أجل، هيا بنا إلى المصادفة، إلى المغامرة، وراء حظنا.

أوريمالاس: تعالوا معى كلكم! فلنهرب! الحرية، الحرية! **(يخرج ومن ورائه الدُمى وهم يقولون أيضًا)** الحرية، الحرية!

(يزداد بطريقة مخيفة الضجيج بالخارج. يتجه خوان الأبله، وهو آخر من يخرج، إلى الباب الرئيسى، وينظر إلى بجماليون. يعوج وجهه مرة أخرى ويفرك يديه بسعادة غامرة، ويطلق بلهجة مبهمة: كى، كى، ويظل مختبئًا فى المشهد. يسمع بين ضجيج أصم صوت العربة التى تتحرك فجأة، وتسير بسرعة ويتلاشى الضجيج تمامًا. يظهر ضوء بنفسجى عند النافذة وفجر رقيق)

المشهد الأخير

(بجماليون واقع على الأرض، وخوان الأبله فى مخبئه)

بجماليون: **(يحاول أن يستوى على مجلسه بجهد جهيد)** أخيراً ذهبوا!... لو لم أتظاهر بالموت لقضوا عليَّ! **(يحاول أن ينهض، لكن دون جدوى)** لا أستطيع! ... إننى أدْمى، أموت وحدى دون أن يساعدنى أحد! تنتصر الآلهة إلى الأبد، وتسحق كل من يحاول سرقة سرها... كنت أعتقد أننى سأتفوق على الإنسان ويقتلنى أول دُمى صنعتها بخبث شديد... مصير حزين للرجل البطل المهان باستمرار حتى الآن فى عناده من قبل دُمى خياله نفسها!...

خوان: كو، كو.

بجماليون: هل أنت هنا؟

خوان: كو، كو.

بجماليون: ستنقذنى أنت لأنك الطيب...

خوان: كو، كو.

بجماليون: ساعدنى... بدونك سأموت.

خوان: كو، كو.

بجماليون: ستكون خسارة... لن يعود أحد ويصنع دُمى كاملة وحية مثلى.

خـــــــوان: كو، كو.

بجـمـاليـون: (يستوى على مجلسه) لكن ماذا ستفعل إن لم تساعدنى؟

(يقترب خوان من بجماليون ويضربه على رأسه بالبندقية.
يرتمى بجماليون على الأرض بتثاقل)

خـــــــوان: كو، كو. (تعوج قسمات وجهه ثانية ويفرك يديه بسعادة
بالغة، ينظر من النافذة رافعًا يديه وينظر النظرة الأخيرة
إلى بجماليون) كو، كو، كو. كو، كو، كو.

(تدخل الخفافيش حائمة وتطير وتتلاقى عدة مرات فى
رفرفة مجنونة، وتصيح الديوك على بعد)

يسدل الستار بسرعة وتنتهى أحداث المسرحية

المؤلف فى سطور :

خاثنتو جراو

ولد خاثنتو جراو عام ١٨٧٧م بمدينة برشلونة الإسبانية من أب كاتلانى وأم أندلسية. وفى عام ١٩٠٣ انتقل إلى مدريد، وفى هذه الفترة اتصل بعالم المسرح، واستفاد كثيراً من خبرات القائمين على شئونه. وفى عام ١٩٣٦ عُيِّن قنصلاً لإسبانيا فى بنما من قبل حكومة الجمهوريين، ثم انتقل بعدها إلى شيلى وبوليفيا، وأخيراً انتقل إلى العاصمة الأرجنتينية بوينوس أيريس التى عاش بها حتى وافته المنية فى نوفمبر عام ١٩٥٨م.

ومن أهم أعماله المسرحية :

"ساعات من الحياة"، و"خلاص يهوذا"، و"عرس كاماتشو"، و"سحر"، و"بين اللهيب"، و"الكونت ألاركوس"، و"الشيطان الثالث"، و"الابن الضال"، و"الملك كانداوليس"، و"نظارة تيليسفوريو أو مجنون ذو طموح"، و"فى السعير ينسلخون"... وغيرها.

المترجم فى سطور :

زيدان عبد الحليم زيدان

- من مواليد بنى سويف، عام ١٩٥٦ .

- حاصل على شهادة الليسانس فى اللغة الإسبانية وآدابها، كلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر، عام ١٩٧٩، ودبلوم الدراسات العليا من الكلية نفسها، عام ١٩٨١ .

- حاصل على شهادة الدكتوراه فى الأدب الإسبانى، جامعة مدريد المركزية (كومبلوتنسى) عام ١٩٩٠ .

- يعمل حاليًا أستاذًا ورئيسًا لقسم اللغة الإسبانية بكلية اللغات والترجمة، جامعة الأزهر.

- له عدة أبحاث ومؤلفات، أهمها:

"أزمة المسرح الإسبانى فى عشرينيات القرن الماضى"، "كبار كتاب المسرح الإسبانى فى القرن العشرين"، "الواقع والخيال فى أعمال أليخاندرو كاسونا"، "الحب والشرف فى أعمال لوبى دى بيجا"، "العنف والفكاهة فى مسرح ألونسو دى سانتوس"، "معجم

المصطلحات العلمية والتقنية (عربى - إسبانى / إسبانى - عربى)"، "معجم المصطلحات الدعوية باللغة الإسبانية"، "معجم ألفاظ القرآن الكريم باللغة الإسبانية".

- له عدة ترجمات إلى العربية، أهمها:

"المخادع الذى لا يُخدع، أو دون جوان" للكاتب الإسبانى خاثنتو جراو، "الحورية الهاربة" للكاتب الإسبانى أليخاندرو كاسونا، "نوفمبر وقليل من العشب" للكاتب الإسبانى أنطونيو جالا، "زهور من الورق"، و"تلاميذ الخوف"، و"الغزاة" للكاتب التشيلى إيجون وولف.

- له عدة ترجمات إلى الإسبانية، أهمها:

· "موجز البرهان على صدق تنزيل القرآن" لنبيل عبد السلام هارون، "الإسلام فى سطور" لمحمد المصرى، "رسالة الإسلام" لعبد الرحمن الشيحة.

- راجع ترجمات بعض الأعمال من الإسبانية إلى العربية والعكس.

- شارك فى بعض المؤتمرات الدولية.

- ناقش وأشرف على كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه.

التصحيح اللغوى : أحمد رمضان

الإشراف الفنى : حسن كامل





ترجمة ودراسة: زيدان عبدالحليم زيدان



يقدم جراو فى هذه المسرحية موضوعًا مطروقًا مأخوذًا من أسطورة بيجماليون الإغريقية المعروفة، وقد اعتبرها النقاد الإسبان من أهم الأعمال التى ظهرت فى فترة العشرينيات من القرن الماضى، وتمثل تحولاً مهمًا ومرحلة جديدة فى مشوار جراو الأدبى من حيث الشكل والمضمون والتكنيك، حيث استخدم تقنية جديدة تتمثل فى الضوضاء التى تصاحب الدُمى، كما ظهر فيها نبوغ جراو الذى برهن على أنه واثق من أدواته، وطرح الموضوع بحكمة واقتدار، وأضفى عليه طابعًا إسبانيًا خالصًا، وحَدَّث الأسطورة وأعطاها طعمًا جديدًا يختلف عن الأصل، حيث ترتعش الحياة والكراهية والغ
والهيام والخيانة والحرية.



Bibliotheca Alexandrina
06679503

تصميم الغلاف: محمود الهندى